هذه حاشية العالم العلامه الاستاذ القدوة الحبر الفهامة
مولانا الهمام شيخ مشايخ الاسلام الشيخ
ابراهيم الباجوري رحمه الله تعالى
على متن بانت سعاد لسيدى
كعب بن زهير رضى
الله عنه
آمين



الحمد لله الذى أنطق كعبا بذكر سعاد * تفاؤلا بها ففاز بالاسعاد * وسهل عليه طريق الرشاد * فجعله من اسعد العباد * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من هول يوم التناد * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العبيد والاسياد * صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه اولى التوفيق والسداد * الذين تأبدوا فى محبته صلى الله عليه وسلم ومزجوا بها الاكباد * اما بعد فيقول راجى عفو ربه الكريم * عبده الباجورى ابراهيم * لا زال محفوظا بالالطاف والنعم * ومحفوظا من الآفات والنقم * اعلم ان المدح رأس مال الشاعر الذى يعول عليه * ومقصده الذى يرجع فى التوسل للامور اليه * ولما لم يلق به صلى الله عليه وسلم تعاطيه عوضه الله سبحانه وتعالى بأن جعل الشعراء مطبقين على مدحه بما لا يدنو بشئ مما هو فيه مسرعين اليه * مكبين عليه * حتى شحنت به الدفاتر * ونفدت دون نفاده المحابر * ثم ان من ابدع ما مدح به رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة كعب التى كانت

على

على ناظمها ابرك كعب * المشهورة ببانت سعاد * التي نال بها قائلها القرب من رب العباد * وقد انشدت بين يديه صلى الله عليه وسلم فنالت اعلى المفاخر * وقضت بالتقدم على ما للاول والآخر * وسبب هذه القصيدة ان كعب بن زهير بن ابى سلمى بضم السين ربيعة بن رياح بكسر الراء وفتح الياء المثناة آخر الحروف ابن اددبن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كان من فحول شعراء العرب المجيدين * والمهرة المفلقين * وكذلك اخوه بجير لكن كان كعب اشعر من بجير وكان زهير ابوهما اشعر منهما وكان لكعب ابنان شاعران جليلان احدهما عقبة والآخر العوام وما كان لهما نظير فى الخواص والعوام * وكان كعب ممن هجا النبى صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام فلما فتح النبى صلى الله عليه وسلم مكة خرج ناس هاربين ومن جملتهم كعب واخوه بجير فخرجا من مكة حتى اتيا الى ابرق العزاف بفتح العين المهملة والزاى المشددة آخره فاء وهو رملة بالحجاز لبنى سعد كذا قال السيوطى وقال الشيخ الجمل وهو ماء لبنى اسد بين المدينة والربذة على عشرين ميلا من المدينة الشريفة وانما سمى بذلك لانه كان يسمع به عزيف الجن أى صوتهم فلما وصلا لذلك المكان قال بجير لكعب اثبت فى الغنم هنا حتى آتى هذا الرجل فاسمع كلامه واعرف ما عنده هل هو مما يستملح ويلوح صدقه فاتبعه ام لا فاتركه فأقام كعب هناك ومضى بجير فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فسمع كلامه وآمن به وأقام عند النبى صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك لأخيه كعب فشق عليه اسلام بجير فكتب اليه بهذه الابيات *

* الا ابلغا عنى بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا *
* سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا *
* ففارقت اسباب الهدى وتبعته * على أى شئ ويب غيرك دلكا *
* على مذهب لم تلف اما ولا أبا * عليه ولم تعرف عليه اخا لكا *
* فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا *

فقوله الا ابلغا أصله بلغن بنون التوكيد قلبت الفا ويصح ان تكون الفه للتثنية لان العرب يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين وقوله فهل لك فيما قلت أى فهل لك ارادة فيما قلته من كلمة الشهادة وقوله ويحك كلمة ترحم تقال فيمن وقع فى مهلكة لا يستحقها فترحم عليه بها بخلاف ويلك فانها كلمة تقال لمن وقع فى مهلكة يستحقها وقوله هل لكا تأكيد للاولى وقوله سقاك بها اى بكلمة

الشهادة التي دلت عليها قرينة الحال والباء بمعنى من التبعيضية والمأمون فاعل وكأسا مفعول به والمراد بالمأمون النبي فقد كانت قريش تسميه المأمون والأمين فهو كما قيل ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ما شهدت به الاعداء والكأس القدح اذا كان فيه الشراب وروية أي مروية فعيلة بمعنى مفعلة وقوله فأنهلك المأمون منها اي فأسقاك المأمون من تلك الكأس نهلا والنهل بالتحريك الشرب الاول وقوله وعلكا أي واسقاك منها عللا والعلل بالتحريك الشرب الثاني وقوله ففارقت اسباب الهدى أي بسبب زعمه حينئذ وقوله وتبعته أي المأمون وقوله على اي شئ متعلق بدلكا بعده او بمحذوف أي دلك على أي شئ أي دلك على شئ لا ينفع وقوله ويب غيرك أي هلكت هلاك غيرك فالويب بالواو الهلاك وهو بالنصب على اضمار الفعل وقد علمت ان الجار والمجرور متعلق بقوله دلكا وقوله على مذهب متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على اي شئ ويصح العكس وقوله لم تلف أي لم تجد وقوله فان انت لم تفعل فلست بآسف أي فان انت لم تفعل ما قلته لك من الرجوع للمذهب الذي كان عليه ابوك وامك وعليه اخوك فلست انا بمتأسف عليك وقوله ولا قائل اما عثرت لعالكا أي ولست انا بقائل ان عثرت انت لعالك أي لا ادعو لك بالسلامة من العثرة لغضبي عليك فان لعالك كلمة دعاء للعاثر بالسلامة من عثرته قال في المختار وهو دعاء له بأن ينتعش اه فلما وقف بجير عليها اخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله ثم قال من لقي كعبا فليقتله فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه فكتب اليه اخوه بجير بهذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا فهي احزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاة فتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا دين دينه * ودين ابي سلمى علي محرم

فقوله من مبلغ اي اي شخص هو مبلغ فمن للاستفهام وقوله فهل لك الخ أي فهل لك ارادة في كلمة الشهادة التي تلوم عليها لوما باطلا وقوله فهي احزم أي اضبط يقال حزم امره اذا ضبطه وقوله الى الله اي فارجع من الضلالة الى الايمان بالله لا الايمان باللات والعزى وهما صنمان كانا يعبدان من دون الله وقوله وحده حال من

الله

الله اى حال كونه وحده وقوله اذا كان النجاة اى اذا وجد سبيل النجاة
فى الدنيا من القتل وفى الآخرة من عذاب الله فتسلم فى الدارين وقوله لدى يوم
اى وقت يوم بترك التنوين وقوله وليس بغفلت بفتح اللام على انه اسم مفعول
وقوله طاهر القلب اى من الكفر وهذا اشارة لكونه مسلما وقوله فدين زهير
مبتدا خبره قوله على محرّم وقوله وهو لا دين دينه اى هو لا دين دينه هذا الكلام
تعليل لقوله على محرّم وقوله ودين ابى سلمى عطف على المبتدا وكتب بعدها بخبره
ان النبى قد اهدر دمه وانه قتل رجالا ممن كانوا يهجونه و يؤذونه فان كان لك فى
نفسك حاجة فطر اليه اى ات له مسرعا فانه لا يرد احدا جاءه تائبا ولا يطالب بما
تقدم قبل الاسلام فلما بلغه الكتاب اتى الى قبيلته مزينة لتجيره من رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأبت ذلك فضاقت عليه الارض بما رحبت واشفق على نفسه فقال
هذه القصيدة يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج حتى وصل المدينة
فنزل على رجل من جهينة كانت بينه و بينه معرفة وقيل ان ذلك الرجل هو على
ابن ابى طالب كرم الله وجهه فأتى به الى المسجد ثم اشار الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يعرفه واما هو فعرفه صلى الله عليه وسلم بالصفة التى وصفه له بها الناس
فقال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل انت
قابل منه ان انا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يا رسول
الله انا كعب بن زهير فقال الذى يقول ما قال ثم اقبل على ابى بكر يستنشده
الشعر فأنشده * ابو بكر سقاك بها المأمون كأسا روية البيت فقال كعب لم اقل
هذا وانما قلت سقاك ابو بكر بكأس روية وانهلك المأمون فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مأمون والله فوثب عليه رجل من الانصار فقال يا رسول الله
دعنى وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد
جاءنا تائبا نازعا اى خارجا من الكفر لانه اسلم ثم انشد القصيدة بين يدى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع وكان قد انشأ قبل قدومه المدينة وهو عند الغنم
من هذه القصيدة ابياتا ولما وصل الى حضرته صلى الله عليه وسلم وقبله وعفا عنه
انشأ تلك القصيدة على وجه آخر مبلغا لها الى سبع وخمسين بيتا وفى رواية ابى بكر

ابن الانبارى انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

القى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته التى كانت عليه ولذا قال اهل العلم هذه القصيدة هى التى حقها ان تسمى بالبردة لان المصطفى صلى الله عليه وسلم اعطى كعبا بردته الشريفة واما قصيدة البوصيرى فحقها ان تسمى بالبرءة لانه كان اصابه داء الفالج فابطل نصفه واعيى الاطباء فلما نظمها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فمسح بيده عليه فبرئ لوقته وقد بذل معاوية لكعب فى هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم فقال ما كنت لا وثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين الفا من الدراهم فأخذها منهم قال وهى البردة التى عند السلاطين الى اليوم وعند ابن قانع عن ابن المسيب انها التى يلبسها الخلفاء فى الاعياد لكن قال الشامى ولا وجود لها الآن لان الظاهر انها فقدت فى وقعة التتار وقد ذكر الترمذى فى طبقات النحاة ان بندار الاصفهانى كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل قصيدة منها بانت سعاد وذكر السيوطى منها عشرة منها قول زهير والد كعب بانت سعاد

وامسى حبلها انقطعا * وابت وصلا لنا من حبلها رجعا

لكن المنصرف اليه اللفظ عند الاطلاق قصيدة كعب وقد طلب منى بعض الاخوان اصلح الله لى ولهم الحال والشان كتابة حاشية عليها تسر الناظرين ويشهد بفضلها فضلاء المحصلين فأجبته لذلك وان لم اكن اهلا لما هنالك فجاءت حاشية شريفة بعبارات مستحسنة منيفة وسميتها بالاسعاد على بانت سعاد والله المسؤل فى اكمالها وجعلها خالصة لوجهه ونافعة من اعتنى بها واقدم قبل الشروع فى المقصود مقدمة فى بيان ترتيب هذه القصيدة وابياتها التى نسجت عليها فنقول (مقدمة) اعلم انه كان عادة اكثر شعراء العرب انهم اذا ارادوا قصيدة مدح افتتحوها بالغزل وهو المعبر عنه بالتشبيب وهو اربعة انواع (النوع الاول) ذكر صفات المحب كالشغف والنحول والذبول والحزن والارق ونحو ذلك (النوع الثانى) ذكر صفات المحبوب التى هى اسباب المحبة سواء كانت حسية او معنوية فالاولى كحمرة الخد ورشاقة القد وما فى معناهما والثانية كالجلالة والخفر وهو الحياء والوقار يقال خفر الانسان خفرا من باب تعب والاسم الخفارة بالفتح كما فى المصباح (النوع) الثالث ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد ووصل وسلو

واعتذار

واعتذار ووفاء واخلاف ونحو ذلك (النوع الرابع) ذكر ما يتعلق بالوشاة والعذال والرقباء ونحوهم والناظم قد اتى فى قصيدته قبل التخلص الى المدح بالانواع الاربعة فذكر النوع الاول فى البيت الاول حيث ذكر حال نفسه وما اعتراه بسبب الفراق بقوله بانت سعاد الخ ثم اخذ فى ذكر النوع الثانى فى البيت الثانى حيث ذكر ما يتعلق بمحبوبته فشبهها بالظبى الموصوف بحسن الصفات بقوله وما سعاد غداة البين الخ ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح فى البيت الثالث بقوله تجلو عوارض ذى ظلم الخ ثم ذكر مزج الراح بالماء واستطرد فوصف ذلك الماء ثم الابطح الذى اخذ منه الماء فى البيت الرابع بقوله شجت بذى شبم الخ ثم اكمل وصف ذلك الابطح فى البيت الخامس بقوله تنفى الرياح القذى عنه الخ ثم اخذ فى ذكر النوع الثالث فذكر اخلاف محبوبته للوعد وعدم قبولها النصح فى البيت السادس بقوله اكرم بها خلة لو انها صدقت موعودها الخ ثم اكمل ذلك فى البيت السابع بقوله لكنها خلة الخ ثم وصفها بالتلون فى الودّ فى البيت الثامن بقوله فما تدوم على حال تكون بها الخ ثم وصفها بعدم الوفاء بالعهد فى البيت التاسع بقوله ولا تمسك بالعهد الذى زعمت الخ ثم اكد ذلك فأخبر بأن ما تعده امانى لا حقيقة لها فى البيت العاشر بقوله فلا يغرّنك ما منت وما وعدت الخ ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا فى البيت الحادى عشر بقوله كانت مواعيد عرقوب لها مثلا الخ ثم ذكر انه يرجو ويأمل ان تدنو مودّتها فى البيت الثانى عشر بقوله ارجو وآمل ان تدنو مودّتها الخ ثم ذكر انها صارت بأرض بعيدة فى البيت الثالث عشر بقوله امست سعاد بارض الخ ثم ذكر انه لا يبلغه اليها الا ناقة صفتها كذا وكذا واطال فى وصفها على عادة العرب فى ذلك من اوّل البيت الرابع عشر الى آخر البيت الثالث والثلاثين فاستوفى عشرين بيتا فى وصفها ثم اخذ فى ذكر النوع الرابع فذكر حال الوشاة فى البيت الرابع والثلاثين بقوله تسعى الوشاة حواليها الخ واستطرد فى ذلك الى آخر البيت السابع والثلاثين وهو قوله كل ابن أنثى وان طالت سلامته الخ ثم تخلص الى المقصود من القصيدة وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم فى البيت الثامن والثلاثين بقوله انبئت ان رسول الله اوعدنى الخ واستطرد فى ذلك الى آخر البيت الموفى خمسين وهو قوله ان الرسول لسيف يستضاء به الخ فاستوفى ثلاثة عشر بيتا فى مدحه صلى الله عليه وسلم ثم انتقل الى ما هو بمنزلة التتمة والخاتمة وهو مدح المهاجرين بقوله فى البيت الحادى والخمسين فى فتية من

قريش الخ واستطرد فى ذلك الى آخر البيت السابع والخمسين وهو قوله لا يقع الطعن الا فى نحورهم البيت وهو آخر القصيدة لانها اشتملت على سبعة وخمسين بيتا ولم يتعرض فيها لمدح الانصار لانه وجد فى نفسه من الذى قال منهم يا رسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك لو ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك اهل فمدحهم بقصيدة اخرى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالح الانصار

ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار

الى آخرها والحاصل ان هذه القصيدة ترجع الى ثلاثة اقسام الغزل ويعبر عنه بالتشبيب ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقصود منها ثم مدح المهاجرين فاستطرد فى الغزل الى آخر البيت السابع والثلاثين وتخلص الى مدح النبى صلى الله عليه وسلم من البيت الثامن والثلاثين الى البيت الموفى خمسين وانتقل الى مدح المهاجرين من البيت الحادي والخمسين الى آخرها واعلم ان هذه القصيدة من بحر البسيط واجزاؤه مستفعلن فاعل مستفعلن فعلن مرتين كما قال القائل

ان البسيط لديه يبسط الامل * مستفعلن فاعل مستفعلن فعل

وهذا اوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود فأقول وبالله التوفيق لاقوم طريق قول الامام الجليل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته آمين (قوله بانت سعاد الخ) لما كان مبنى ابتداء هذه القصيدة على الغزل والتشبيب جريا على عادة اكثر الشعراء فى ابتداء قصائد المدح بمثل ذلك كما تقدم ذكره فى المقدمة وكان من جملة الغزل والتشبيب ذكر صفات المحب كالشغف ونحوه صدر كلامه بذكر الفراق ليرتب عليه ما يأتى من لوازم المحبة وعوارضها ولا شك ان فراق الاحبة من اشد الآلام واعظم الاحزان فلذا قال بانت سعاد الخ ومعنى بانت فارقت فراقا بعيدا يقال بان يبين كباع يبيع بينا وبينونة اذا فارق فراقا بعيدا فالبين الفراق البعيد ويقال للوصل ايضا فهو من الاضداد ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم بالرفع أى وصلكم وهو فى عرف الشرع اسم للطلاق غير الرجعى وعلم مما تقرر ان بان هنا بمعنى فارق لا بمعنى ظهر كما فى قوله بان امر الاله واختلف النـ * ـاس فداع الى ضلال وهاد

وسعاد فاعل بانت وهو اسم لمحبوبته التى بنى مطلع القصيدة على التغزل فيها

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

والتشبيب بها كما كان مجنون ليلى يتشبب بليلى وكثير عزة يتشبب بعزة وذو الرمة يتشبب بمى وقيس يتشبب بلبنا الى غيرهم من المتشببين فى الجاهلية والاسلام فان قيل كيف ساغ له ان يتغزل بامرأة فى قصيدة انشدها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم مع ان التغزل ممتنع أجيب بأنه جرى فى ذلك على عادة العرب فى اشعارها من ابتدائها بالتغزل والتشبيب مع قرب عهده بالاسلام وقد نص العلماء رضى الله عنهم على انه انما يمتنع التغزل اذا كان بشخص معين رجلا كان او امرأة اجنبية بخلاف ما اذا كان بغير معين او بحليلته فانه لا يمتنع ويدل على جوازه سماع النبى صلى الله عليه وسلم واقراره عليه فيحتمل انه لم يقصد بذلك امرأة معينة لما جرت به عادة غالب الشعراء من انهم يفتتحون قصائدهم بالتغزل فى محبوب غير معين بل وان لم يكن حب بالكلية يقصدون بذلك تمليح الكلام وتحسينه لان طباعهم تميل للعشق والتغزل فيه ويحتمل انه قصد امرأة معينة كانت حليلته وبانت عنه فتغزل فيها فقد قال فى شرح المواهب قال الرويانى فى البحر هى امرأته طالت غيبته عنها لهروبه من النبى صلى الله عليه وسلم فذكر ما فى هذه القصيدة لذلك وبه جزم البرهان على ان محبتهم كانت غير مفضية الى القبيح ولله در القائل حيث يقول

انزه فى روض المحاسن مقلتى * وامنع نفسى ان تنال محرما

ولهذا هلك كثير من المتيمين فى عشق من احبوه صبرا عن الوصال وصيانة من النساء وعفة من الرجال وقد قيل لرجل من بنى عذرة ما بال الرجل منكم يموت فى هوى امرأة فقال لأن فى نسائنا جمالا وفى رجالنا عفة وقد نص العلماء رضى الله عنهم ان الميت عشقا شهيد لحديث من عشق فصبر فعف فكتم فمات فهو شهيد وان كان الحديث فيه ضعف والى هذا المعنى اشار ابو القاسم القشيرى بقوله

ان المحب اذا توفى صابرا * كانت منازله مع الشهداء

لكن يبعد احتمال كونها زوجته السياق الآتى حيث وصفها باخلاف الوعد وبالتلون الى غير ذلك والفاء فى فقلبى للسببية مع العطف بناء على مذهب الجمهور من جواز عطف الاسمية على الفعلية ولمحض السببية بناء على مذهب غير الجمهور من عدم جواز ذلك لا لمجرد العطف فالفاء لها ثلاث حالات الاولى ان تكون للسببية مع العطف كما فى نحو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه

الثانية ان تكون لمحض السببية كما فى نحو ان جئتنى فانا اكرمك الثالثة ان تكون لمجرد العطف كما فى نحو جاء زيد فعمرو ولقلب اربعة معان احدها اللحم الصنوبرى الشكل اى الذى شكله على شكل الصنوبر بحيث يكون غليظ الاعلى دقيق الاسفل كقمع السكر كما هو مشاهد فى نحو قلب الخاروف ومحله من البدن الجانب الايسر من الصدر قال بعضهم وهذا هو السر فى كون الطائف يجعل البيت عن يساره ومن هذا المعنى قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه ثانيها العقل ومنه قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ثالثها خالص كل شئ ومنه الحديث لكل شئ قلب وقلب القرآن يس رابعها المعنى المصدرى لانه يقال قلبه قلبا والمراد به هنا المعنى الاول لانه هو الذى يكون متبولا اى سقيما ضعيفا ويصح ان يراد المعنى الثانى ويكون المراد من كونه متبولا كون العقل ضعيفا ويكون المعنى حينئذ انه انتهى به الحب الى الوله والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهائم على وجهه لا يدرى اين يتوجه وهذا موافق لما يقوله الاطباء من ان العشق نوع من الماخوليا حتى قال بعضهم

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * الحب اعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون فى الحين

وانما سمى القلب قلبا لتقلبه فى الامور وانقلب الله له كما فى الحديث القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقوله اليوم ظرف لما بعده قدم عليه لافادة الحصر فكونه متبولا انما حصل زمن فراقها لا قبله والمراد باليوم هنا مطلق الزمان كما فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده اى زمنه ويطلق على مقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وعلى مدة القتال نحو قوله تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وعلى الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله متبول بتقديم الفوقية على الموحدة من تبله الحب يتبله من باب قتل اسقمه واضناه واضعفه وفى نسخة مبتول بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية من البتل وهو القطع ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اى انقطع اليه انقطاعا كاملا ومنه البتول للزهراء لانقطاعها عن الدنيا بأنواعها وعلى كل فهو خبر اول وقوله متيم خبر ثان عند من اجاز تعدد الخبر واما عند من منعه فهو خبر عن مبتدا محذوف او صفة لمتبول عند من جوز

وصف الصفة وهو بتشديد الياء المفتوحة من تيمه الحب بمعنى استعبده واذله
اذ المحب فى جناب الحبيب كالعبد الذليل فى مقام الاطاعة فى كل ساعة ومذلل
محقر مأمور منقاد اذ العبودية تستلزم ذلك وقوله اثرها بكسر الهمزة وسكون المثلثة
ويقال فيه اثر بفتحتين وهو محل المشى وموضع القدم من الارض وهو ظرف لمتيم
او حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف أى حالة كونه كائنا اثرها ولا
يحسن تعلقه بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظى والمعنوى وجملة قوله
لم يفد خبر ثالث ان قلنا بتعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة فيكون من قبيل الاخبار
بالجملة بعد الاخبار بالمفرد ويصح ان تكون صفة لمتيم ومعنى لم يفد لم يقع له فداء
من اسره الذى وقع فيه اما لكونه لم يجد من يفديه واما لكونه لم يختر الفداء بل
كان اسر المحبة احب اليه ويروى لم يشف بدل لم يفد بمعنى انه لم يحصل له شفاء من
مرضه وسقمه ويكون ذلك مرتبطا بقوله متبول لا بقوله متيم وقوله مكبول خبر
رابع وهو بفتح الميم وسكون الكاف وضم الباء بعدها واو وفى آخره لام بمعنى
القيد يقال كبل الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا وضع فى رجله الكبل
بفتح الكاف وقد تكسر مع سكون الباء فيهما وهو القيد قيل مطلقا وقيل
الضخم وقيل اعظم ما يكون من القيود او بمعنى المسجون يقال كبله بالتخفيف
اذا حبسه فى سجن او غيره فهو محتمل لمعنيين وحاصل معنى البيت انه فارقته
محبوبته فبسبب فراقها صار قلبه فى غاية الضنا والسقم والذل والاسر والقيد
او السجن لا يجد له هربا من الاسر ولا فكاكا من القيد او السجن (قوله وما سعاد
الخ) لما ذكر حال نفسه وما اعقبه الفراق من الضنا شرع فى ذكر وصف محبوبته
التى يهواها وما اشتملت عليه من المحاسن فشبهها بظبى موصوف بأحسن الصفات
من الغنة فى الصوت وغض الطرف والكحل فلذا قال وما سعاد الخ فالبيت الاول
يشير الى كمال احتياج المحب الى المحبوب والثانى يومى الى كمال استغناء المحبوب
فى مقام المطلوب والواو عاطفة للجملة الاسمية على الجملة الفعلية السابقة وهى
بانت سعاد لا على الجملة الاسمية التى بعدها وهى فقلبى الخ لان هذه لا تناسب تلك
فى التسبب عن البينونة وما نافية ملغاة لا عمل لها حتى عند الحجازيين لانتقاض
النفى بالا فقد انتفى شرط عملها عندهم وهو بقاء النفى فسعاد مبتدا وليس اسما لما
لانتقاض النفى بالا كما علمت وسعاد هى محبوبته التى تقدم ذكرها فى البيت الاول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا * الا اغن غضيض الطرف مكحول

فالمقام للاضمار بأن يقول وما هي لكنه اقام الظاهر مقام المضمر استلذاذا بذكرها ولله در القائل حيث يقول

يامن اذاذ كراسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس

ويعزى لسيدي علي وفا رضي الله عنه

ان شئت تذكر لي الحبيب فهات * من اجل ذاك حبيت للحانات

لاتحسبن اني نسيت وانما * ذكر الحبيب يضاعف اللذات

وغداة ظرف زمان وهي اسم لمقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم نظيره في اليوم وكلامه في البيت يحتملهما والعامل فيها امامايفيد التشبيه في قوله الااغن فان المعنى على التشبيه كما سيأتي والتقدير الاكظبي اغن فالمعنى هي شبيهة بالظبي الاغن في غداة البين كذا قال بعضهم لكن قال ابن هشام فان قلت الحرف الحامل للتشبيه يقدر بعد الا وما بعد الا لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك ان يقدر حرف التشبيه قبل الا وقبل الظرف أيضا والتقدير وما كسعاد في هذا الوقت الا ظبي اغن ثم قال فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو محصل للمعنى المراد على وجه ابلغ وذلك انهم اذا بالغوا في التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه اصلا والمشبه به فرعا وفي ذلك من المبالغة مالا خفاء به والبين مضاف اليه وهو مصدر بان بمعنى فارق كما تقدم وأل فيه للعهد واذ ظرف لما مضى من الزمان وهو محتمل لثلاثة اوجه الاول وهو الظاهر ان يكون بدلا من غداة البين كما في قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر والثاني ان يكون ظرفا ثانيا لا بدلا من الظرف الاول والثالث ان يكون ظرفا للبين وجملة قوله رحلوا في موضع خفض باضافة اذ اليها وانما اتى بضمير الجمع اما لقصد تعظيمها واما للاشارة الى انها رحلت مع قومها وفي نسخة رحلت وهي ظاهرة وانما خص غداة البين ووقت الرحيل بالذكر مبالغة في حسنها فان الشخص يكون في ارث حالة بعد مفارقة الحبيب وتوديع الصديق مع ما ينضم الى ذلك من التأثر بفراق الوطن عند الرحيل وايضا فيه اشارة الى انها مخدرة لاترى الا عند الرحيل لاضطرارها الى البروز من الخباء فعند ذلك وقع بصره عليها والا حرف ايجاب للنفي فهي اداة حصر لا عمل لها واغن صفة لمحذوف أي الا ظبي اغن وهو خبر سعاد

والمعنى

والمعنى على التشبيه أي الا كظبي اغن وليس صفة لسعاد والا لقال غناء والاغن الذي في صوته غنة وهي صوت لذيذ يخرج من اقصى الانف وشبه به صوت الرياح في الاشجار الملتفة ولذلك قيل روضة غناء وقد جاء في وصف سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه انه كان في صوته غنة حسنة وامر الصوت عجيب فكما يقع العشق بواسطة النظر كذلك يقع بواسطة الصوت فقد قيل اسباب المحبة ثلاثة اشياء رؤية صورة او سماع نغمة او سماع وصف وهو انواع فمنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يبكي ومنه ما يورث الغشي ويزيل العقل ومنه ما تنوم به الصبيان وتستخرج به الحية من جحرها وتسقى الدواب بالصفير وتصغي باذانها اذا غني لها المكاري وتزيد الابل في مشيها اذا حدى لها الحادي وغضيض الطرف صفة ثانية للمحذوف الذي تقدم تقديره وغضيض بمعنى مغضوض كقتيل بمعنى مقتول والطرف بسكون الراء معناه البصر والمراد به هنا العين وغض الطرف في الاصل ترك التحديق واستيفاء النظر لقصد الكف عن التأمل حياء من الله او من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي يكفوا عما لا يحل لهم النظر اليه وهو في البيت يحتمل امرين احدهما كسر الجفون وفتورها والثاني الحياء والخفر وكلاهما مما يمدح به اما الاول فلانه من صفات الحسن والجمال اذ النفوس تميل الى ذلك في الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعراء في القديم والحديث تتغزل في ذلك واما الثاني فلانه يمدح عقلا وشرعا ومكحول صفة ثالثة لذلك المحذوف والمراد مكحول الطرف ففيه الحذف من الثاني لدلالة الاول لان المكحول في الحقيقة هو الطرف والمتبادر انه من الكحل بفتحتين وهو سواد يعلو العين من غير اكتحال وذلك من صفات الجمال لانه مما يستحسن وتميل اليه النفوس وقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم في عينيه كحل ويحتمل انه من الكحل بضم فسكون لان الاكتحال به يكسو العين سواد الكن يظهر انه يريد انضمام ذلك الى الكحل الخلقي لا منفردا عنه والا لكان نقصا في الحسن وحاصل معنى البيت ان سعاد في وقت الفراق الذي هو وقت الرحيل شبيهة بالظبي الموصوف بثلاث صفات مستحسنة الاولى الغنة في الصوت وهو مما يستلذ بسماعها والثانية غض الطرف وهو من صفات الجمال والثالثة الكحل وهو من صفات الجمال ايضا وانما خص التشبيه بالظبي جريا على عادة العرب في التشبيه بالظباء

لمخالطتهم لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل احد انما يشبه بما
يألفه ويستقر في خزانة خياله واعلم ان تشبيه الآدمي بالظباء انما هو من حيث
استحسانها من جنس الوحش لا من حيث انها احسن من الآدمي في نفس الامر
والا فالآدمي احسن قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال
عز وجل وصوركم فأحسن صوركم ولهذا قال الفقهاء رضي الله عنهم لو قال لزوجته
ان لم تكوني احسن من القمر فأنت طالق لم تطلق وان كانت زنجية (قوله
هيفاء مقبلة الخ) هذا البيت غير ثابت في كثير من النسخ ولذلك لم يشرح عليه
غالب الشراح وقد شرحه بعضهم ونحن نتكلم عليه تبعا له فنقول هيفاء خبر
مبتدا محذوف أي هي هيفاء أي ضامرة البطن دقيقة الخصر قال في القاموس
الهيف بالتحريك ضمور البطن ودقة الخاصرة يقال هيف كفرح وهاف كخاف
هيفا وهيفاء وامرأة وفرس هيفاء ومقبلة حال من هيفاء والمعنى انه يتصورها الناظر
بهذا الوصف حالة كونها مقبلة وعجزاء خبر لمبتدا محذوف مثل ما تقدم
في هيفاء ومعناه كبيرة العجيزة ومدبرة حال من عجزاء والمعنى انه يبصرها الناظر
بهذه الصفة حالة كونها مدبرة عنه وقيد كونها هيفاء بحالة الاقبال وكونها عجزاء
بحالة الادبار مع ان كلا من الصفتين ثابت لها في جميع الاحوال لان الناظر يرى
ضمور البطن ودقة الخصر في حالة الاقبال اكثر ويرى عظم العجيزة في حالة الادبار
اكثر وقوله لا يشتكي قصر منها ولا طول ببناء يشتكي للجمهور أي لا يشتكي
الرائي عند رؤيتها قصرا فيها ولا يشتكي طولا فيها فلا تعاب بقصر ولا تذم بطول
بل ربعة متوسطة القد وحاصل معنى البيت ان سعاد كلما تنقلب من وضع الى وضع
ومن حال الى حال يحكم الناظر اليها في كل وضع بحسن طبع وفي كل حال بزين
جمال فاذا أقبلت يحكم بأنها هيفاء واذا ادبرت يحكم بأنها عجزاء وهي متوسطة بين
الطول والتصر فلا يشتكي الرائي قصرا فيها ولا طولا (قوله تجلو عوارض الخ)
أي تجلو سعاد عوارض ثغر ذي ظلم وقت ابتسامها فتجلو فعل مضارع وفاعله
ضمير يعود على سعاد محبوبته والجملة مستأنفة او خبر آخر عن سعاد عند من اجاز
تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وذي ظلم صفة لمحذوف أي عوارض ثغر ذي
ظلم واذا بمعنى وقت وهو خال عن معنى الشرطية فلا يحتاج للجواب وتجلو بمعنى
تكشف يقال جلوت الخبر أي كشفته ويقال ايضا جلى الخبر نفسه فيستعمل

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول

متعديا

متعدياً ولازماً والعوارض جمع عارض او عارضة وانما يكون جمع فاعل على
فواعل شاذاً اذا كان صفة للعاقل كفارس وما هنا ليس كذلك واختلف فى معنى
العوارض فقيل هى الاسنان كلها وقيل هى الضواحك خاصة وقيل الضواحك
والانياب وقيل غير ذلك وذى بمعنى صاحب وظلم بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام
وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها وبياضها
فان فسرناه بالاول فالمدح به من حيث ان ماء الاسنان من الاوصاف المستحسنة
ومازالت العشاق تستعذبه وتستطيبه وتستلذبه وبريقها مما يمدح به ويرغب
اليه وقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم براق الثنايا وان فسرناه بالثانى فالمدح به
من حيث ان رقة الاسنان مما يستحسن فى الانسان ويعد من صفة الجمال
وبياضها مما يستحسن فى الانسان ايضا وتتطلع اليه النفوس وتنبعث اليه الخواطر
وفيه دلالة على وصفين آخرين مما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن
فان الانسان كلما طعن فى السن تغير لون اسنانه ومال عن البياض الى الصفرة
او الخضرة الثانى النظافة لان تغير الاسنان انما يصدر عن ترك تعهدها بالسواك
ونحوه واذا ظرف لتجلو وجملة ابتسمت فى محل جر باضافة اذا اليها يقال ابتسم
كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم كجلس اذا ضحك ضحكا خفيفا وفى وصفها
بالابتسام اشارة الى وصفين من اوصاف المدح الاول بشاشة الوجه وطلاقته
اذ الشخص قد يكون فى غاية الحسن والجمال الفائق ولكنه عبوس الوجه فيؤدى
به ذلك الى ذهاب بهجة حسنه ورونق جماله وايضا طلاقة الوجه تدل على الكرم
وعبوسته تدل على اللؤم كما قال بعضهم

تلقى الكريم فتستدل ببشره * وترى العبوس على اللئيم دليلا

الثانى الحياء والخفر فان الضحك برفع الصوت والقهقهة دليل على الخفة وسقوط
المروءة ولا يليق بذوى الجلالة وقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم ان ضحكه
كان تبسما والى ذلك يشير الفرزدق فى قصيدته التى يمدح بها زين العابدين على
ابن الحسين رضى الله عنهما بقوله

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فلا يكلم الا حين يبتسم

فجعل التبسم غير قادح فى الحياء وجملة كأنه منهل بالراح معلول اما مستأنفة
او صفة للثغر او حال منه والضمير يعود على الموصوف المحذوف وهو الثغر ومنهل

شجت بذى شبم من ماء محنية * صاف بأبطح أضحى وهو مشمول

بوزن مكرم اسم مفعول من انهله اذا سقاه النهل بفتحتين وهو الشرب الاول وقوله بالراح متعلق بمنهل فالمعنى كأنه مشرب بالراح شربا اولا ومعلول خبر ثان لكأن وفى الكلام حذف من الثانى لدلالة الاول أى معلول بالراح وهو اسم مفعول من علّه يعله بضم العين على القياس وبكسرها على خلافه فهو معلول أى مسقى ثانيا فان العلل بفتحتين الشرب ثانيا كما ان النهل بفتحتين الشرب اولا واصل ذلك ان الابل اذا شربت فى اول الورد سمى ذلك نهلا فاذا ردت الى اعطانها ثم سقيت ثانيا سمى ذلك عللا وزعم الحريرى ان المعلول لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذى اصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من اعله الله تعالى وكذا قال ابن مكى وغيره ولحنوا المحدثين فى قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل اه والصواب انه يجوز ان يقال معلول من العلة الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهرى فى صحاحه وقطرب فى كتابه وحاصل معنى البيت ان سعادا اذا ابتسمت تكشف فى تبسمها عن اسنان ذات ماء وبريق وذات بياض اورقة ولعابيب ثغرها كأنه مسقى بالراح نهلا ثم عللا أى اولا ثم ثانيا والراح لها ثلاثة معان الاول الخمر وهو المراد هنا والثانى الارتياح والثالث جمع راحة وهى الكف فان قيل كيف ساغ له ان يذكر فى قصيدته شرب الخمر بعد تحريمها مع انها ام الخبائث اجيب بأنه جرى فى ذلك على عادة الشعراء من التغزل بذكر الخمر مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم فى الكلام على التغزل بالمراة (قوله شجت بذى شبم الخ) لما شبه ثغرها بمنهل معلول بالراح على ما تقدم فى البيت الذى قبله شرع فى وصف الراح بأنها مزجت بماء موصوف بست صفات فقال شجت بذى شبم الخ أى مزجت تلك الراح بماء موصوف بما ذكره من الصفات حتى كسرت سورتها وخمدت فورتها فان الخمر اذا ابقيت على اصلها من غير خلط ماء قيل لها صرفة فان خلطت بماء قيل لها ممزوجة قل المزج اوكثر فان مزجت حتى رقت ولطفت ولم تنكسر سورتها قيل لها مشعشعة من قولهم ظل شعاع اذا كان رقيقا لا كثيفا فان زيد على ذلك حتى انكسرت سورتها قيل شجت وهو مجاز لان الشج فى الاصل الكسر ومنه شج رأسه وشججها للمبالغة وان زيد على ذلك حتى ذهبت قوتها قيل قتلت وهو مجاز ايضا لان القتل فى الاصل ازهاق الروح وقد اختلف شرابها اهل الاولى الصرفة او الممزوجة فاختار قوم الصرفة ومنهم حسان بن ثابت فى زمن الجاهلية

حيث

حيث يقول ان الذى ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى * بزجاجة ارخاهما للفصل
يقول للذى ناوله الخمرة وردها عليه ان التى ناولتنى فرددتها عليك قتلت بالمزج حتى ذهبت قوتها ثم دعا عليه بقوله قتلت لكونه قتلها بالمزج ثم طلبها غير مقتولة بل صرفة بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوى بين الصرفة والممزوجة فى الرجوع الى اصل واحد وهو العصير بقوله كلتاهما حلب العصير ثم طلب اشدهما تأثيرا فى السكر وارخاء المفاصل بقوله فعاطنى بزجاجة ارخاهما للفصل واختار آخرون الممزوجة لان الصرفة قد تؤدى الى زوال الشعور وذهاب الاحساس وبعضهم سوى بينهما كما يشير لذلك ابن الفارض بقوله
عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم
فان قيل لاى معنى اختار ذكر الممزوجة على الصرفة فى كلامه حيث قال شجت اجيب بأن الصرفة حارة يابسة والممزوجة حارة رطبة فالمزج ينقلها من اليبوسة الى الرطوبة فان قيل لم خص الشج بالذكر دون سائر انواع المزج المتقدمة اجيب بأن الشج اعدل حالات المزج لان الشعشعة لا تكسر سورتها المقاربتها الصرفة فى افعالها والقتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها والشج يذهب حد السورة ويبقى منها بقية تحصل منها النشوة ثم لما ذكر أنها مزجت بالماء وصف الماء الذى مزجت به بستة اوصاف (الاول) كونه ذا شبم اى صاحب برد شديد فذى بمعنى صاحب والشبم بفتحتين البرد الشديد قال فى المختار الشبم بفتحتين البرد وقد شبم الماء من باب طرب فهو شبم اه والماء البارد مما يستطاب شربه ويستعذب ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعجبه الماء الحلو البارد حتى قال فى دعائه اللهم اجعل حبك احب الى من الماء البارد وكان القطب الشاذلى يقول اذا شربت الماء الحلو البارد اشكر ربى من وسط قلبى وربما مزجوا الخمر بالماء الحار ولعل ذلك كان يقع لهم فى البرد الشديد الذى يجمد فيه الخمر لشدته فاذا مزجت بالماء الحار لطفها ورققها بخلاف البارد فانه يزيدها جمودا (الثانى) كونه مأخوذا من ماء محنية بفتح الميم وسكون الحاء وكسر النون وفتح الياء المخففة وهى منعطف الوادى وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون اصفى وابرد وكان المعنى فيه ان الرياح تتراكم فيه لانعطافه فتصفيه وتبرده (الثالث) كونه صافيا

عما يخالطه من اجزاء الارض لان الماء ان كان صافيا لا يكدر الخمر التي مزجت به بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها بمخالطته لها ويخرجها عن وصف الصفاء المطلوب فيها (الرابع) كونه بأبطح وهو المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى فلكونه واسعا يكون مظنة الكثرة ولكونه فيه دقاق الحصى يكون مظنة الصفاء (الخامس) كونه اخذ في وقت الضحى وهو المراد بقوله اضحى وهي تامة فانها بمعنى اخذ في وقت الضحى لانه اولى ما يستقى فيه الماء لقرب عهده من آخر الليل فيكون الماء فيه باردا بخلاف ما بعد ذلك من اوقات النهار فانها يشتد فيها حر الشمس (السادس) كونه مشمولا وهو المراد بقوله وهو مشمول اي والحال انه مشمول فالواو للحال والمشمول هو الذي ضربته ريح الشمال حتى برد فان ريح الشمال اشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح خصوصا بأرض الحجاز لرقتها واطافتها ولا كذلك غيرها من الرياح بل ربما هبت بعض الرياح على الماء فسخنته وحاصل معنى البيت ان تلك الراح مزجت بماء بارد اخذ من منعطف الوادي صاف في مسيل واسع فيه دقاق الحصى وكان اخذه منه في وقت الضحى وقد ضربته ريح الشمال حتى برد فان احسن المياه ما كان باردا في طبعه وكان من ماء منعطف الوادي وكان صافيا في لونه وكان في مكان متسع فيه دقاق الحصى وكان مأخوذا في وقت الضحى وكان مضروبا بريح الشمال حتى برد

(قوله تنفي الرياح الخ) لما وصف الماء الذي مزجت به الراح في البيت الذي قبله بما يرجع حاصله الى الكثرة والبرودة والصفاء على ما تقدم تقريره هناك اتبعه في هذا البيت بما يؤكده فقال تنفي الرياح الخ ومعنى تنفي تطرد يقال نفاه اي طرده والرياح جمع ريح وهو عبارة عن هواء يتحرك لا لذاته بل بتحريك الفاعل المختار وهو الله تعالى كما قال جل وعز الله الذي يرسل الرياح وزعمت الفلاسفة ان سبب ذلك ارتفاع اجزاء دخانية لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد حتى تصل الى القرب من الفلك ثم تتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق يحصل الريح وهو مردود واصول الرياح اربعة الاولى الصبا وتسمى بالقبول بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق وتأتي من مطلع الشمس وانما سميت بالصبا لانها تصبو اي تميل الى الكعبة وهي التي تسميها اهل مصر بالشرقية لانها تأتي من جهة المشرق والثانية الدبور سميت بذلك لان

تنفي الرياح القذا عنه وافرطه * من صوب سارية بيض يعاليل

من

من استقبل المشرق استدبرها واهل مصر يسمونها الغربية لان مهبها من مغرب الشمس والثالثة الشمال بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل المشرق وتعرف عند اهل مصر بالبحرية لانها يسار بها في البحر على كل حال والعامة يعتقدون انها سميت بذلك لانها تهب عليهم من جهة البحر والرابعة الجنوب وهي التي تسميها اهل مصر القبلية وعامتهم يعبرون عنها بالمريسي لانها تهب من بلاد المرس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه وكل ريح جاءت من بين مهب ريحين يقال لها النكباء لانها نكبت اي عدلت عن مهب تلك الرياح وقد نظم بعضهم ذلك بقوله

اصول الرياح اربع سم بالصبا * قبولا اتت من مطلع الشمس شرقيه
دبور اتت من مغرب الشمس فاعلمن * لذا عند مصر سم يا صاح غربيه
شمال تجي من عن شمال مشرق * يسار بها في البحر تدعى بحريه
جنوب تسمى بالمريسي نسبة * لبلدان سودان وتسمى لقبليه
وما بين ريحين تهب فسمها * بنكباء تجري كالاصول بلا مريه

ولاهل البحر الملاحين المعرفة التامة في ذلك فهو كما قيل علم نفيس في جنس خسيس والقذا بفتح القاف والذال المعجمة ما يسقط في العين والشراب والمراد به هنا ما يقع في الماء مما يشوبه ويكدره وعنه جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والضمير عائد على الابطح او على الماء فالمعنى على الاول ان الرياح تهب على الابطح قبل وجود الماء فيه فتنسف ما فيه من تراب ونحوه فلا يبقى فيه الا دقاق الحصى فلا يجد الماء فيه عند حلوله ما يكدره فيبقى على صفائه والمعنى على الثاني ان الرياح تهب على الماء وهو في الابطح فتقذف ما على وجهه مما كان في الابطح قبل وجود الماء فطفى على وجهه فتطرده الرياح الى شاطئ الوادي والمعنى الاول ابلغ في الصفاء لعدم ملاقاة القذا للماء جملة وهو اقرب الى مراد الناظم وعلى كل فالجملة في المعنى تعليل لقوله صاف وتأكيد له وقوله وافرطه اي وافرط ذلك الابطح بالماء اي ملأه به ويشير بذلك لكثرة الماء وزيادته فان كثرته وزيادته تدفع عنه الاستقذار فلا تعاف النفوس شربه وقوله من صوب جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والصوب المطر ويستعمل بمعنى القصد فيكون مصدر الصاب بمعنى قصد ويحكى ان رجلين اتيا رؤبة بن العجاج يسئلانه عن قوله تعالى فسخرنا

اكرم بها خلة لوانها صدقت * موعودها اولوان النصح مقبول

له الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب فصادفاه فى الطريق فقال ابن تصيبان فرجعا ولم يسئلاه وقوله سارية اى سحابة تأتى ليلا من السرى وهو السير ليلا ويروى غادية بدل سارية وهى سحابة تأتى غدوة وفى كل منهما اشارة الى برودة الماء لان السحابة اذا اتت ليلا او غدوة بقى الماء على اصله فى البرودة فاذا اخذ من صبيحة تلك الليلة كان فى غاية البرودة وهو من اكد المطلوب فيه وقوله بيض فاعل افرطه وهى جمع ابيض او بيضاء واختلف فى معناها فقيل الجبال وهو الظاهر الذى يرشد اليه المعنى وقيل السحب ورد بأن المعنى عليه ان السحب البيض التى ملأت الابطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة وذلك يؤدى الى ان بعض السحب تستمد المطر من بعض وهو غير المراد وخلاف الواقع وايضا السحب البيض تكون خالية من المطر واما الحاملة للمطر فان لونها يكون اغبر وقوله يعاليل صفة لبيض ومفرده يعلول يقال ثوب يعلول اذا غذى بالصبغ مرة بعد اخرى واختلف فى معناها فقيل شديدة البياض وقيل التى ينزل فيها الماء مرة بعد أخرى اخذا من العلل وهو الشرب مرة بعد أخرى كما تقدم وقيل المرتفعة وهذا كله على تفسير البيض بالجبال واما على تفسيرها بالسحب فتفسر اليعاليل بالتى تجئ مرة بعد أخرى اخذا من العلل كما مر واقوى التفاسير ان البيض اليعاليل الجبال الشديدة البياض لان ماء السحاب يحصل اولا فى الجبال ثم ينصب منها الى الاباطح وحينئذ يكون اصفى لان الجبال مع صفائها صلبة لا ينفصل منها شئ بوقوع المطر عليها قبل نزوله الى الابطح الذى هو مقره بخلاف الاباطح فانها لا تخلو عن تراب ونحوه فلو وقع عليها المطر اولا لربما أثار تربتها لشدة وقعه عليها وحاصل معنى البيت ان الرياح تزيل القذا عن ذلك الابطح او الماء الذى اخذ منه الماء الممزوج به الراح حتى لم يبق فيه ما يكدره وملأ ذلك الابطح الجبال الشديدة البياض من مطر سحابة جاءت ليلا او غدوة فاجتمع فيه الصفاء والبرودة والكثرة (قوله اكرم بها الخ) اى ما اكرمها الخ فاكرم فعل تعجب جئ به على صورة فعل الامر ولذلك لا يرفع الظاهر وفاعله هنا الضمير المجرور بالباء الزائدة لاصلاح اللفظ على حد قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا اى ما اسمعهم وما ابصرهم فى ذلك اليوم ثم ان قوله اكرم بها محتمل لمعنيين الاول وهو الاقرب الى مراده ان المراد به كرم الحسب والشرف والارومة

اى الاصل الثانى وهو الحق المتبادر الى افهام العامة ان المراد به خلاف البخل وهو الجود فان اريد الاول كان هو الغاية القصوى فى المدح اذ العراقة فى النسب مطلوبة فى المرأة مرغوب فيها خصوصا عند العرب وقد وردت السنة باعتبار ذلك كما يدل له حديث تخيروا لنطفكم وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن المرأة الدنيئة الاصل بقوله واياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن يارسول الله قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء فشبه صلى الله عليه وسلم المرأة الحسناء الدنيئة الاصل بالزرع الحسن النابت فى الروث لان الدواب اذا راثت فى المرعى ونبت الزرع فى موضع الروث تراه حسنا مرتفعا على غيره من الزرع والحديث مصرح بضعفه لتفرد الواقدى به وان كان المعنى صحيحا وان اريد الثانى كان مفيدا للمدح ايضا الا انه دون الاول لان الجود من صفات المدح فى الرجل دون المرأة كذا قيل والحق ان الجود فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان او امرأة وهذا كله على الرواية المشهورة وهى اكرم بها ويروى فيالها اى فيا قوم اعجبوا لها لكونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال وهى مع ذلك مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة وذلك فى غاية العجب فان حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الاخلاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه فالانسان كما يحتاج لحسن الصورة وكرم الاصل كذلك يحتاج الى حسن المعاشرة من الوفاء والصدق والود ولين الجانب ونحو ذلك اذ لو كان الانسان فى غاية الحسن والجمال ولكنه سيء المعاشرة قليل الموافاة لمجته النفوس ونفرت عنه القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله وكان جميلا انت امرؤ قد حسن الله خلقك فأحسن خلقك وقد قال الامام فخر الدين ان حسن الصورة وان كان مرغوبا فيه لكن حسن السيرة افضل منه اذ حسن الصورة انما يبقى اياما وحسن السيرة لا يزول اثره وحسن الصورة ربما ادى بصاحبه الى الوقوع فى المهالك وحسن السيرة يوجب له الملك الى ترى ان حسن الصورة ادّى بيوسف عليه السلام الى السجن وما وقع له من المحن وحسن سيرته اوجب له الجلوس على سرير الملك ويروى ايضا ياويحها وهى كلمة ترحم تقال لمن وقع فى مهلكة لا يستحقها تأسفا عليه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية وقد خرج عمار مع سيدنا على كرم الله وجهه فى قتاله مع معاوية رضى الله

عنه فقتلت جماعة معاوية رضي الله عنه عمارا فقال علي رضي الله عنه لمعاوية قد بان بغيكم لانكم قتلتم عمارا وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتله الفئة الباغية فقال معاوية رضي الله عنه انما قتله من اخرجه رضي الله عنهم اجمعين والغرض هنا التاسف عليها حيث لم تتخلق بالاخلاق المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها بل حادت عن طريق الصدق ومالت الى الاخلاف فقطعت حبال المودة وهدمت مباني الالفة وكذلك يروى ياويلها وهي كلمة عذاب تقال لمن يستحق الهلكة كما في قوله تعالى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق وكأنه لما اضجره اعراضها واعياه صبره بها اخلافها هفت منه هفوة فقال ياويلها لكن لم يقصد بذلك حقيقة الدعاء لان دعاء المحب على المحبوب المطلوب فيه عدم الاجابة كما قيل

ادعو عليك وقلبي يقول يارب لالا * واذا دعى المحب على محبوبه بالويل

فاعسى يدعو به العدو على عدوه وقوله خلة بضم الخاء وتشديد اللام كما في السيوطي وغيره وان ضبطه بعض الشراح بكسر الخاء وهو منصوب على التمييز أي من جهة كونها خلة والخلة بالضم صفاء المودة واطلقها هنا على المحبوبة التي هي سعاد مبالغة ويحتمل انه على تقدير مضاف أي ذات خلة فتكون الخلة بمعنى الصداقة كما في قوله تعالى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله لوانها صدقت موعودها أي اتمنى انها صدقت موعودها فلو للتمني كما هو الاقرب لاستغنائه عن التقدير اذ لا جواب لها فهذه جملة مستأنفة لانشاء التمني غير معلق عليها ما قبلها فيكون كعب رضي الله عنه احب صدقها موعودها وتمناه فان قيل قضية تمني ذلك ان صدقها موعودها ممتنع وهو في غاية الذم وذلك مناف لمدحه لها اولا أجيب بأن عدم الصدق في امور الحب والعشق غير مذموم عندهم لانه يرجع للتخفر والدلال فان المحبوب لوصدق في كل شيء لم يكن محبوبا بل خادما ويحتمل انها شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما قبلها ويكون قد علق الامر على صدقها موعودها فعلى رواية اكرم بها يكون كرمها معلقا على صدقها موعودها وهذا لا بلاغة فيه بخلافه على جعلها للتمني فان كرمها ثابت في كل حال وفيه غاية المدح وعلى رواية فيالها اوياويحها اوياويلها يكون التقدير لوانها صدقت موعودها لكملت خلالها او لكان خيرا لها واختلف في ان وصلتها بعد لو في مثل ذلك فقيل

فاعل

فاعل بفعل محذوف والتقدير هنا لو ثبت انها صدقت موعودها ونقل عن اكثر
البصريين انه مبتدا محذوف الخبر وجوبا كما يحذف كذلك بعد لولا والتقدير
هنا لو صدقها موعودها موجود وقال بعضهم انه مبتدا لا خبر لها اكتفاء بجريان
المسند والمسند اليه في الصورة وموعودها يحتمل ثلاثة اوجه الاول ان يراد به
الشخص الموعود فيكون المعنى لو انها صدقت الشخص الذي وعدته الثاني
ان يراد به الشيء الموعود به فيكون المعنى لو انها صدقت في الشيء الذي وعدته به
وعلى هذين الاحتمالين فهو اسم مفعول الثالث ان يراد به الوعد فيكون مصدرا
على رأي ابي الحسن ان المصدر يأتي على زنة مفعول كالمعسور والميسور فان قيل
ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه أجيب بأنه وعد يتعلق بالوصل
والمودة وحسن العشرة على انه قد تقدم ان محبتهم مصونة عن الخيانة بعيدة عن
الريبة وقد حكي ان عزة دخلت على ام البنين بنت عمر بن عبد العزيز فقالت لها
ما معنى قول كثير قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها
وما كان هذا الدين فقالت وعدته بقبلة ومطلته بها فقالت انجزيها وعلي
اثمها ففعلت وكانت ام البنين صالحة فأعتقت اربعين عبدا عند الكعبة
وقالت اللهم اني ابرأ اليك مما قلته لعزة وقوله اولو ان النصح مقبول يقرأ بنقل
حركة الهمزة للواو قبلها وحذف الهمزة للوزن ولما اشار الى عدم وفائها الوعد
اتبع ذلك بوصفها بعدم قبول النصح واو حرف عطف وهي بمعنى الواو ولانه يتمنى
كلا من الصدق في الوعد وقبول النصح لا احدهما على جعل لو للتمني وكرمها
معلق على كل منهما لا على احدهما فقط على جعلها شرطية وفي ان ومدخولها
ما تقدم من الاقوال الثلاثة في التي قبلها والنصح بضم النون خلاف الغش وهو
ارادة الخير للمنصوح والمراد نصحي اياها والمقبول خلاف المردود وكلامه محتمل لان
يكون مراده النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو نهيها عن الحالات الذميمة من
الكذب واخلاف الوعد والملال الى غير ذلك مما تضمنته الابيات السابقة
واللاحقة مع انه وصفها في صدر القصيدة بالجلالة والجمال والخفر وهي لا يليق
بصاحبها معاطاة ذميم الخلال لانه قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة
وان يكون مراده النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه في الحقيقة اليه وهو ترك الهجر
والمطل والوفاء بما وعدته به من الوصل ووجه كون ذلك نصحا لها ان المرء يجازي

بفعله والمظلوم منصور فربما رماها الدهر الى من يوقعها فى حبالة الحب فيأخذ منها بثاره كما قيل

قلت لمحبوبى وقد مربى * محبوبه كالقمر السارى
هذا الذى يأخذلى طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

واذا وصلته ابقت عليه روحه ففازت بأجره كما قيل

فديت من ترحم عاشقها * وراحم العشاق مأجور

بل ربما حمله الحب على تمحيض النصح من جانبها لحصول الاجر لها مع اعراضه عن حال نفسه فى الوصل كما قيل

وما طلبى للوصل حرصا على اللقا * ولكنه اجر اليك اسوقه

وحاصل معنى البيت انها كريمة من جهة كونها صديقة ولو انها صدقت فى الوعد وقبلت النصح لكانت على اتم الخلال واكمل الاحوال (قوله لكنها خلة الخ) لما اشار فى البيت الذى تقدم الى اتصافها بصفتين وهما عدم صدق الوعد وعدم قبول النصح اشار فى هذا البيت الى انها اشتملت على اربع خصال مستلزمة لما فى البيت الذى قبله وزيادة فلكن هنا لتأكيد مفهوم ما قبلها مع زيادة عليه والضمير فى لكنها يعود على المحبوبة التى هى سعاد وخلة بمعنى صديقة وخليلة كما تقدم وقد حرف تحقيق مع الماضى كما هنا وقوله سيط بكسر السين المهملة او الشين المعجمة معناه خلط يقال ساطه اذا خلطه بغيره حتى صارا شيأ واحدا ومنه قيل للآلة التى يضرب بها سوط لانها تسوط اللحم بالدم أى تخلطه به ومن دمها جار ومجرور متعلق بسيط ومن بمعنى الباء او فى فالمعنى قد خلط بدمها او فيه هذه الخلال الاربع وهذا كناية عن كونها صارت لها اخلاقا طبيعيا لا تنفك عنه والدم احد الاخلاط الاربعة التى بها قوام البدن وهى الدم والبلغم والصفراء والسوداء وقوله فجع نائب فاعل سيط والفجع بفتح الفاء وسكون الجيم وبالعين المهملة الاصابة بالمكروه لانه مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه وهو محتمل لامور منها الهجر وما يتبعه من مقاساة الالام ومكابدة الاهوال ومعالجة الاسقام فالهجر يذيب القلوب ويشيب الرؤس ولله در القائل

الا فاعجبوا من فعلها بحبيبها * ولا تعجبوا من لمتى ومشيبها
فان هجرتنى شيبتنى بهجرها * وان واصلتنى شيبتنى بطيبها

ومنها ما يلقاه منها من الحيف والاساءة وما احسن قول القائل

لكنها خلة قد سيط من دمها * فجع وولع واخلاف وتبديل

واكثر افعال الغواني اساءة * واكثر ما تلقى الاماني كواذبا

وقد قيل من العناية ان تحب و يحبك من تحب ومن الشقاوة ان تحب ولا يحبك من تحب ومنها ماينالها من العذال كاللوم والتوبيخ كما قال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه اسمعه * من معشر فيك لولا انت ما نطقوا
وفيك داريت قوما لا خلاق لهم * لولاك ما كنت ادري انهم خلقوا

وقوله وولع عطف على فجع والولع بسكون اللام والولعان بفتحها الكذب ففي القاموس ولع كوضع ولعا وولعانا بفتح اللام كذب اه وهو محتمل لامور منها الكذب في اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاصيها عن وصله كما قال بعضهم

من منصفي من فتاة قد علقت بها * اضحت يمازجها وصل وهجران
تبدي صدودا وتخفي تحته شغفا * فالنفس راضية والطرف غضبان

ومنها كذبها في دعوى العوائق عن الوصل واقامة الحجج المانعة منه كما قال بعضهم

تقيم معاذيرا وتزعم صدقها * وتطمع آمالي بها فألين
وتحلف لو تستطاع جادت بوصلها * وليس لمخضوب البنان يمين

وقوله واخلاف عطف على فجع ايضا والاخلاف بكسر الهمزة وسكون الخاء وبالفاء في آخره خلاف الوفاء والمراد هنا اخلاف الوعد بدليل قوله في البيت الذي قبل هذا ولو انها صدقت موعودها فتعده وتمنيه وتمطله ولا تفيه وقوله وتبديل عطف على فجع مثل ما قبله وهو تبديل شئ بغيره والمراد به هنا تبديل خليل بخليل فلا تبقى على خليل بل تصاحب هذا مرة وهذا أخرى للملال من الصحبة فكلما طالت خلته ملته وانتقلت عنه الى آخر كما أشار اليه العباس بن الاحنف بقوله

يا قوم لم اهجركم لملالة * مني ولا لمقال واش حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

ثم انه يحتمل ان يكون ذلك حقيقة ويحتمل ان يكون خيالا منه قد خيلته الغيرة في نفسه من شدة الحب كما قال القائل

واني لارجو ان تدوم لعهدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

وحاصل معنى البيت ان هذه المحبوبة التي ابتلى بحبها قد امتزج بدمها وصار طبعا لها لا تنفك عنه الاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال على ما تقدم بيانه (قوله فما تدوم على حال الخ) أي فبسبب ما جبلت عليه من الاخلاف

فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون في اثوابها الغول

والتبديل لا تستمر على حال بل تتغير من حال الى حال فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضى وتارة تغضب وتارة تودّ وتارة تجفو وتارة ترغب فى خليل وتارة ترغب عنه فظهر من ذلك ان الفاء للسببية وما نافية وتدوم تامة وفاعلها ضمير يعود على خلة وعلى حال متعلق بتدوم والحال ما عليه الانسان من خير او شر وتذكر وتؤنث وتذكير لفظها افصح من تانيثه وتانيث وصفها او ضميرها افصح من تذكيره وقد جرى الناظم على الافصح فيهما حيث قال على حال ولم يقل على حالة وقال تكون بها ولم يقل تكون به وجملة تكون بها فى محل جر صفة لحال والضمير المستتر فى تكون عائد على الخلة فقد جرت الصفة على غير من هى له فكان عليه ابراز الضمير اى تكون هى متلبسة بها فالباء للملابسة ويحتمل ان تكون بمعنى على اى تكون عليها وقوله كما تلون فى اثوابها الغول صفة مصدر محذوف دل عليه ما قبله اذ الذى لا يدوم على حال يكون متلونا فكانه قال انها تتلون تلونا كما تتلون فى اثوابها الغول فالكاف مع مدخولها صفة لذلك المصدر المحذوف وما مصدرية وتلون فعل مضارع فاصله تتلون حذفت احدى تائيه للتخفيف وفى اثوابها جار ومجرور حال من الغول مقدمة عليه والغول فاعل للفعل قبله والتقدير كما تتلون الغول حال كونها فى اثوابها فالهاء من اثوابها عائدة على الغول لكونه وان كان متأخرا لفظا متقدما رتبة واعلم ان العرب تزعم ان الغول ترى فى الفلاة بالوان شتى فتأخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من يراها ظانا انها على طريق فيضل عن الطريق فيهلك وربما قالوا انها تعترضهم فى الطرقات فتحاربهم وقد اختلفوا هل لها وجود حقيقة او هى من خرافات العرب فذهب قوم الى الاول محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم اذا تغولت الغيلان فبادروا بالاذان وفى حديث ابى ايوب كان لى تمر فى سهوة فكانت الغول تجئ فتأخذ منه وعليه فهى نوع من الشياطين سميت بذلك لاغتيالها الشخص وكل شئ اغتال الانسان فهو غول وذهب آخرون الى الثانى محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم كما ثبت فى صحيح مسلم لا طيرة ولا نوء ولا غول فنفى صلى الله عليه وسلم الغول كما نفى الطيرة ووقوع المطر بنوء الكواكب فهى من الامور المستحيلة التى هى على غير مسميات كما اشار لذلك بعض الشعراء بقوله

الجود والغول والعنقاء ثالثها * اسماء اشياء لم تخلق ولم تكن

لكن

ولا تمسك بالعهد الذي زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

لكن نظر في الجود بأن كثيرا من الناس اتصفوا به حتى كان سجيتهم والصواب
ان يقول والخل بدل الجود والمراد الخل الوفي كما قال بعضهم

لما اختبرت بني الزمان فلم اجد * خلا وفيا للشدائد اصطفي
ايقنت ان المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفي

وحاصل معنى البيت ان المحبوبة لا تدوم على حال تكون عليها بل تتغير من حال
الى حال فتتلون بالوان شتى وترى في صور مختلفة كما تتلون وتتشكل الغول
في اثوابها بالوان واشكال كثيرة (قوله ولا تمسك الخ) لما وصفها في البيت
السابع بالاصابة بالمكر وهو الكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر ثم
وصفها في البيت الثامن بعدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة
وصفها في هذا البيت بعدم التمسك على العهد فقال ولا تمسك الخ وهو معطوف
على قوله فما تدوم الخ فالواو عاطفة ولا نافية وتمسك بفتح التاء والميم والسين المشددة
واصله تتمسك حذفت احدى التاءين وهو مضارع تمسك او بضم التاء وفتح الميم
وكسر السين المشددة وهو مضارع مسك يقال تمسك ومسك وامسك واستمسك
بمعنى واحد و بالعهد متعلق بالفعل قبله وفي نسخة بالوعد وفي بعض النسخ بالقول
والذي صفة لما قبله و جملة زعمت صلة الذي والعائد محذوف و زعمت اما بمعنى
تكفلت فيكون مصدره الزعم بفتح الزاي بمعنى الكفالة قال تعالى وانا به زعيم اي
كفيل واما بمعنى قالت فيكون مصدره الزعم مثلث الزاي وهو قول يدعيه المدعي
يحتمل الحق والباطل وغلب استعماله في الباطل ومنه قوله تعالى زعم الذين
كفروا ان لن يبعثوا ومن استعماله في الحق قول ابي طالب يخاطب النبي صلى
الله عليه وسلم ودعوتني وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وقول كثير عزة وقد زعمت اني تغيرت بعدها * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
فان عجز البيتين يدل على استعماله في الصدق وقوله الا كما يمسك الماء الغرابيل اي
الا تمسكا كما تمسك الغرابيل الماء فشبه تمسكها بالعهد بامساك الغرابيل للماء مبالغة
في النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد لان الماء بمجرد وضعه في الغربال الذي
تغربل به الحنطة ونحوها يخرج منه ففيه تشبيه معدوم بمعدوم في صفة العدم
وهذا الاستثناء نظير الغاية في قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى
يبيض القار فالمقصود منه توكيد انتفاء تمسكها بالعهد فالا لايجاب النفي صورة

فلا يغرنك ما منت وما وعدت * ان الاماني والاحلام تضليل

والتاكيد معنى والكاف حرف جر وما حرف مصدري فيؤول الفعل بعدها بمصدر والكاف ومدخولها نعت لمصدر محذوف ولا يخفى ان الماء مفعول مقدم والغرابيل فاعل مؤخر وحاصل معنى البيت ان هذه المحبوبة لا تمسك بالعهد الذي تكفلت الوفاء به او الذي قالت انها تفي به الا تمسكا كامساك الغرابيل للماء في العدم فان قيل كيف ساغ له ان يصف محبوبته بهذه الصفات مع انه لا يليق ان يصف الشخص بها عدوه فضلا عن حبيبه اجيب بجوابين احدهما ان وصفه لها بهذه الصفات راجع الى ما يتعلق باحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكلهما وحينئذ فلا يكون قادحا في الموصوف بها فشأن المحبوب الهجر والاعراض والتعنت ولا يكون مؤثرا في محبته ولا قادحا في ودادته ثانيهما ان يكون وصفه لها بتلك الصفات لتنفير الغير عنها فاراد ان يبين انها لا تفي بوعد ولا تقف عند عهد لتقل الرغبات في طلبها وتنفر النفوس عن حبها واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على أربعة انواع (الاول) ان يكون عن تيه ودلال وعلاجه بالتذلل كما اشار اليه بعضهم بقوله

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل * اذا رضي المحبوب صح لك الوصل

(الثاني) ان يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة والامساك عن المحبوب فتى احس منه بالملال امسك عنه الى ان يتحقق منه ذهاب الملال (الثالث) ان يكون ذلك ناشئا عن ذنب صدر من المحب وعلاجه بالتوبة من ذلك الذنب حتى لو رماه محبوبه بذنب لا حقيقة له اظهر له التوبة منه الرابع ان يكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء العضال الذي يعسر علاجه فلا حيلة للمحب الا التحمل والصبر والمغالطة والخداع لعله ان يخدع او يرق وبعضهم يأخذ المحبوب بالقهر ان لم يسمح بالوصل كما اشار اليه بعضهم بقوله

اذا لم يكن وصل الى الحب منصف * وامسيت تحت الضير في العشق والضنك

ولم استطع صبرا على الذل والهوى * فبالعزم ثم الوصل اولى من الترك *

ولم يرتض ذلك الصلاح الصفدي ولذلك قال

تمسك بذل فهو اليق بالهوى * لتنتظم مع اهل المحبة في سلك

متى لاق بالعشاق عز وسطوة * كانك من ذل المحبة في شك

(قوله فلا يغرنك الخ) اي اذا كانت المحبوبة متصفة بما ذكرته من الصفات فلا يغرنك الخ فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر فتكون للسببية بدون عطف لان

بما قبلها

ما قبلها اخبار وما بعدها انشاء وعطف احدهما على الآخر ممنوع على الصحيح ولا ناهية ويغرنك فعل مضارع مبنى على الفتح لمباشرة نون التوكيد الخفيفة وتوكيد الفعل بعد لا جائز باتفاق ان كانت ناهية كما هنا دون ما اذا كانت نافية فلا يجوز الا فى الشعر عند الجمهور كقوله

تالله لا يحمدن المرء مجتنبا * فعل الكرام وان فاق الورى حسبا

والخطاب فى قوله فلا يغرنك يحتمل ان يكون لنفسه فيكون المصنف قد جرد من نفسه شخصا ووجه الخطاب اليه فيكون فى كلامه التفات من التكلم الى الخطاب لانه صدر الكلام بالتكلم حيث قال فقلبى اليوم متبول ثم التفت الى الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك الخ ويحتمل ان يكون لغيره ممن يصلح للخطاب وعليه فلا التفات وقوله ما منت اى ما منتك اياه بمعنى حملتك على تمنيه فمنت من التمنية وهى ان تحمل غيرك على ان يتمنى منك شيأ او بمعنى كذبت عليك فيه فانه يقال مناه بكذا تمنيه اذا كذب عليه فيه وما يحتمل ان تكون اسما موصولا بمعنى الذى وان تكون نكرة موصوفة بمعنى شئ وعلى كل فهى فى محل رفع على الفاعلية وجملة منت لا محل لها على الاول لانها صلة وفى محل رفع على الثانى لانها صفة ويحتمل ان تكون مصدرية فتكون هى وصلتها فى تأويل مصدر هو الفاعل اى تمنيتها اياك الوصل ولا تقدر المفعول حينئذ ضميرا بان تقول اياه لان الضمير لا يعود الا على الاسماء وما المصدرية من الحروف وقوله وما وعدت اى وما وعدتك اياه او وعدها اياك الوصل فتجرى فيها الاوجه الثلاثة السابقة وهى ان تكون اسما موصولا او نكرة موصوفة او مصدرية والوعد هنا مستعمل فى الخير لا غير كما يقتضيه المقام وقد يستعمل فى الشر ان كان هناك قرينة كما فى قوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فان لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال الشاعر

وانى وان اوعدته او وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

ثم علل الناظم المصراع الاول وهو قوله فلا يغرنك ما منت وما وعدت بالمصراع الثانى وهو قوله ان الامانى والاحلام تضليل فالامانى راجعة لقوله ما منت والاحلام راجعة لقوله وما وعدت فيكون من قبيل اللف والنشر المرتب فالاول للاول والثانى للثانى كذا قال السيوطى وتبعه غيره وهذا يقتضى ان قوله وما وعدت معناه ما وعدت به فى النوم حتى تكون الاحلام راجعة اليه والظاهر

ان المراد ما وعدت به في اليقظة او ما يعم ما في الحالتين ويمكن توجيه رجوع الاحلام لما وعدت بشموله لما في النوم والاظهر انه ضم الاحلام الى الامانى لمناسبتها لها في عدم التحقق واشار الى تعليل قوله وما وعدت بالبيت بعد هذا وهو قوله كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل كما افاده شيخنا ومقتضى التعليل فتح همزة ان على تقدير اللام وهو جائز لغة لكن الرواية بالكسر على انه تعليل مستأنف فهو تعليل في المعنى ومثله قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا والامانى بتشديد الياء جمع امنية كالاضاحى جمع اضحية وتخفيف الياء جائز يقال تمنيت الشئ أى اشتهى حصوله ومنه قوله تعالى ام للانسان ما تمنى والاحلام جمع حلم بضمتين وهو ما يراه النائم وفعله حلم بفتحات وقد غلبت الرؤيا على ما يراه في الخير والحلم على ما يراه في الشر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان وقوله تعالى اضغاث احلام كما قاله السيوطي والتضليل تفعيل من الضلال وهو على تقدير مضاف والاصل ذوات تضليل او جعلت نفس التضليل مبالغة على حد قولهم رجل عدل وقولهم انما هى اقبال وادبار او انها مضللة بكسر اللام لكن الاسناد اليها مجاز عقلى لانها سبب التضليل اما الامانى فلانها تخايل فاسدة وضياع زمان في غير فائدة قال على بن عبيد الامانى تخايل الجهل وقال افلاطون الامانى حلم المتيقظ وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى اسبح في غير ماء واطير في غير هواء فقال انت رجل تكثر الامانى لكن العاشق ربما استراح اليها وعلل نفسه بالركون اليها ولله در الحارثى حيث يقول

امانى سعدى حسان كأنما * سقتنا بها سعدى على ظماء بردا
منى ان تكن حقا يكن احسن المنا * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واما الحلم بالمحبوب وزيارة طيفه في المنام فانه الخيال الحائل والوصال الذى ليس تحته طائل ولله در القائل

زارنى طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولى به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بى شغفا
ثم انتبهت وآمالى تخيبنى * نيل المنى فاستحالت غبطتى اسفا

وبعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قال البحترى

اذا

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل

اذا ما الكرا اهدى الى خياله * شفى علة التبريح او نقع الصدا

بل بالغ التهامى حتى فضله على اليقظة حيث قال

الطيف احسن وصلا ان لذته * تخلو عن الاثم والتنغيص والندم

وحاصل معنى البيت لا تغتر بما حملتك على تمنيه منها او بما كذبت عليك فيه من الوصل وما وعدتك به من ترك الهجر فان الامانى التى يتمناها الانسان والاحلام التى يراها فى منامه سبب فى الضلال وضياع الزمان بلا فائدة فمن تعلق بذلك فقد اتعب نفسه وشتت خاطره (قوله كانت مواعيد عرقوب الخ) اى صارت مواعيد عرقوب لها مثلا لشهرة اتصافها بالاخلاف فكانت بمعنى صارت كما فى قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم ازواجا ثلاثة اى فصارت وصرتم ومواعيد جمع ميعاد كموازين جمع ميزان وعرقوب بضم العين واسكان الراء وضم القاف وبعدها واو وفى آخره باء موحدة وهو علم منقول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها او من عرقوب الوادى وهو منعطفه واختلف فى نسبه فقيل هو عرقوب بن معد بن زهير وقيل عرقوب بن صخر وقد اشتهر هذا الشخص عند العرب باخلاف الوعد وكان من امره انه وعد اخا له بيثرب ثمر نخلة وقال له ائتنى اذا اطلع النخل فلما اطلع قال ائتنى اذا بلح فلما ابلح قال ائتنى اذا ازهى فلما ازهى قال ائتنى اذا ارطب فلما ارطب قال ائتنى اذا صار تمرا فلما صار تمرا جزه من الليل ولم يعطه شيأ فضربوا به المثل فى خلف الوعد فقالوا اخلف من عرقوب وتداوله العرب فى شعرهم حتى قال علقمة الاشجعى

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب اخاه بيثرب

قال التبريزى والناس يروون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة الفوقية والراء المفتوحة موضع بقرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابو عبيدة والكلبى وقد خولفا فى ذلك قال ابن دريد اختلفوا فى عرقوب فقيل من الاوس فيصح على هذا ان يكون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالراء المفتوحة لان العماليق كانت من اليمامة الى وبار ويترب هناك قال وكانت العماليق أيضا فى المدينة اه وقال ابن دحية سميت المدينة يثرب باسم من نزلها من العماليق وهو يثرب بن عبيد ولا تسمى الآن يثرب لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا اهل يثرب فحكاية عمن

قاله من المنافقين وقوله لها اى للمحبوبة وهو متعلق بكان على القول بان لها دلالة على الحدث وهوالصحيح اوهو حال مقدم من مثلا لانه كان صفة له فلما قدم عليه صار حالا على حد قوله * لمية موحشا طلل اوهو خبر لكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين والمثل هو الذى حاكيت به شيأ آخر و يطلق على المثل بكسر الميم وسكون المثلثة يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه وعلى القول السائر وعلى النعت ومنه قوله تعالى وله المثل الاعلى وقوله عز وجل ذلك مثلهم فى التوراة وقوله وما مواعيدها الا الاباطيل اى وما مواعيد سعاد الا باطلة لا حقيقة لها وهذا تأكيد لاخلافها الوعد فلم يكتف بضرب مواعيد عرقوب لها مثلا بل بعد ذلك جعل مواعيدها باطلة لا حقيقة لها فكانت اسوأ حالا فى المطل والاخلاف وهذا على رواية وما مواعيدها الا الاباطيل وهى الرواية المشهورة و يروى وما مواعيده الا الاباطيل اى وما مواعيد عرقوب الا باطلة لا حقيقة لها وغرضه بذلك على هذه الرواية بيان صفة مواعيد عرقوب التى ضربها مثلا لها فبين انها باطلة لا حقيقة لها فتكون مواعيدها كذلك والاباطيل جمع باطل على غير قياس وهو ضد الحق وقد جرى الناظم رضى الله عنه فى قصيدته على مذهب بعض المحبين من مناقشة المحبوب فى المطل واخلاف الوعد وعدم الموافاة كما قال بعضهم يخاطب محبوبه

وانت الذى اخلفتنى ما وعدتنى * واشمت بى من كان فيك يلوم

وذهب بعض المحبين الى استعذاب المطل والتسلى به عن الوصل كما قال شرف الدين بن الفارض

عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الهوى حسن المطل

حتى ان بعض المحبين يعد الوعد والامانى سبب الحياة ولولا ذلك لمات كما قال العفيف

لولا مواعيد آمال اعيش بها * لمت يا اهل هذا الحى من زمن

وكان ذلك يختلف باختلاف رتب المحبين فى المحبة (قوله ارجو وآمل الخ) لما وصفها بأوصاف القطيعة والجفا من اول البيت السابع وهو قوله اكرم بها خلة الخ البيت الحادى عشر وهو قوله فلا يغرنك ما منت الخ على ما تقدم بيانه فى مواضعه اخذته دهشة المحبة فذهل عما هى عليه من ذلك فتعلق بالرجاء وجنح الى الامل

فقال

ارجو وآمل ان تدنو مودتها * وما اخال لدينا منك تنويل

فقال ارجوا وآمل الخ اذ لا يليق بالشخص ان يقطع رجاءه من مطلوبه وان ييأس من محبوبه فقد قيل من طلب شيئا ناله او كاد وربما كان غير المرجو اقرب الى الحصول من المرجو وقال الحسين بن على رضى الله عنهما كن لما لا ترجوه ارجى منك لما ترجوه فان موسى عليه السلام ذهب الى الطور يقتبس نارا فلم يظفر بها ورجع نبيا مرسلا ولله در القائل

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ويحتمل ان يكون الرجاء والامل وقعا منه على سبيل تعليل النفس ومراوحتها كيلا يغلب عليها اليأس كما قيل

اعلل بالاقا قلبى لعلى * أروح بالامانى الهم عنى
واعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا اقل من التمنى

ثم ان جعل قوله فى البيت الحادى عشر فلا يغرنك خطابا بالنفسه كان هناك التفات من الخطاب الى التكلم كما ان هناك التفاتا من التكلم الى الخطاب ويكون قد رجع الى الحالة الاولى التى هى التكلم وان جعل قوله فى البيت المذكور فلا يغرنك خطابا لغيره فلا التفات هنا كما لا التفات هناك والرجاء بالمد غلبة الظن بحصول الشئ تقول رجوت الشئ ارجوه اذا غلب على ظنك حصوله ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا اى لا تخافون لله عظمة والامل هو الرجاء يقال املت الشئ آمله بمد الهمزة وضم الميم واللام اذا رجوته فالعطف فى قوله وآمل من قبيل عطف الرديف والمصحح للعطف اختلاف اللفظين كما فى قوله تعالى فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا خلافا لمن جعله من عطف العام على الخاص معللا له بأن الامل يكون فى الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن ورد بأن الفرق المذكور انما هو بين التمنى والرجاء لا بين الامل والرجاء وقوله ان تدنو مودتها اى تقرب محبة سعاد فتدنو بمعنى تقرب والمودة خلاف العداوة وهو المحبة والضمير لسعاد وقد تنازع قوله ان تدنو الفعلان قبله فاعمل الثانى واضمر فى الاول ضميره ثم حذف ولا يحسن ان يقال اعمل الاول واضمر فى الثانى ثم حذف لان ذلك شاذ لوجوب ان يضمر فى الثانى جميع ما يحتاج اليه ولا يرد قوله

بعكاظ يعشى الناظريـ * ـن اذا هم لمحوا شعاعه

والاصل لمحوه ثم حذف الضمير لانه ضرورة وسكنت الواو من تدنو اما لكونه اهمل

ان المصدرية حملا على ما اختها كما فى قراءة بعضهم لمن اراد ان يتم الرضاعة برفع يتم ويمكن ان يكون الاصل يتمون بواو الجمع حملا على معنى من ثم حذفت النون للناصب واما السكونه اجرى الفتحة مجرى الضمة فى تقديرها على الواو للضرورة قال المبرد وهو من احسن الضرورات بل قد جاء اسكان الواو فى النثر كقراءة بعض السلف او يعفو الذى بيده عقدة النكاح باسكان الواو وقوله وما اخال لدينا منك تنويل اى وما اظن عندنا من جهتك عطاء نوال وايصال وصال فاخال بكسر الهمزة على الافصح بمعنى اظن وهما سيان فى العمل وسائر الاحكام ويجوز ان تكون اخال هنا معملة او ملغاة او معلقة اما الاعمال فجزم به بدر الدين بن مالك وعليه فجملة لدينا منك تنويل فى محل نصب لانها مفعول ثان والمفعول الاول ضمير الشأن والتقدير وما اخاله اى الحال والشان وبحث فيه بأن ضمير الشان خارج عن القياس فلا ينبغى الحمل عليه مع امكان غيره واما الالغاء فلأن النافى لما تقدمها ازال عنها التصدر المحض فسهل الغاؤها وعليه تكون تلك الجملة لا محل لها لالغاء العامل واما التعليق فعلى ان الاصل للدينا فعلق الفعل باللام ثم حذفت وبقى التعليق وعليه تكون تلك الجملة المذكورة فى محل نصب لانها سدت مسد المفعولين ولدى بمعنى عند وقلبت الفه ياء لاضافته للضمير وتكون للقرب الحسى كما فى قوله تعالى والفيا سيدها لدى الباب اى عند الباب والمعنوى كما فى قولك لديه فقه وادب ومنك بكسر الكاف بمعنى من جهتك وفيه بعد قوله مودتها التفات من الغيبة الى الخطاب فان كان فى قوله ارجو وآمل التفات عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك الى التكلم كان فى البيت التفاتان والتنويل العطاء والمراد به هنا الوصل ولك فى ارتفاعه وجهان احدهما ان يكون مبتدا خبر عنه باحد الظرفين وساغ الابتداء به وان كان نكرة لتقدم النفى عليه ولتقدم خبره الظرف وثانيهما ان يكون فاعلا باحد الظرفين على ماذهب اليه الاخفش والكوفيون من انه لا يشترط فى اعمال الظرف الاعتماد فان قيل كيف ساغ له نفى حصول المودة بقوله وما اخال لدينا منك تنويل بعد رجائه وتأميله بقوله ارجو وآمل ان تدنو او مودتها اجيب بأن نفى حصول التنويل من حيث بعدها كما اشار اليه فى البيت الذى يليه واجاب ابن هشام بأن المودة والتنويل شيآن لا شئ واحد ولا يمتنع ان تود بقلبها وتمنعه من نوالها على انه قد

تقدم انه انما قال ارجو وآمل ان تدنوا مودتها لكونه اخذته دهشة المحبة فذهل عما هي عليه من الاوصاف فيحتمل انه رجع اليه عقله فتذكر اوصافها المخالفة للمودة فقال وما الخال لدينا منك تنويل وهذا يسميه اهل البديع بالرجوع لانه رجع الى كلامه السابق بالنقض كما في قول القائل

اليس قليلا نظرة ان نظرتها * ولكن قليل ليس منك قليل

فانه اولا استقل النظرة ثم تذكر ان ذلك ذهول منه حيث عد النظرة من محبوبه قليلا فقال ولكن قليل ليس منك قليل وحاصل معنى البيت اني مع اتصافها بالجفا واخلاف الوعد وعدم الوفاء بالعهد لا اقطع الرجاء من مودتها ولا ايأس من وصلها بل ارجو وآمل ان تقرب مودتها وان كان في ذلك بعد (قوله امست سعاد الخ) لما ذكر ما حملته عليه المحبة من الرجاء والامل بقوله ارجو وآمل ان تدنو مودتها اتبعه بذكر ان محبوبته صارت الى ارض بعيدة لا يوصله اليها الا النفائس من الابل القوية السريعة السير فقال امست سعاد الخ اي صارت سعاد بأرض بعيدة فأمست بمعنى صارت كما هو الظاهر ويحتمل انها بمعنى دخلت في وقت المساء فتكون تامة والمعنى دخلت في وقت المساء بأرض بعيدة ويكون هذا مقابلا للغداة في قوله وما سعاد غداة البين اذ رحلوا فكأنه قال رحلت غدوة وأمست بأرض بعيدة وهذا اشارة لسرعة سيرها لانها سارت في اليوم مسافة طويلة والمقصود بالحقيقة الاخبار ببعد محبوبته مع ان بعد الاحباب عذاب واذا كان المحب مع قرب الدار لا يشتفي غليله ولا يشفى عليله فكيف يصبر على البعاد او يلذ له طيب الرقاد ولله در القائل

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأي يشفي من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

وكيف يطيق البعد من يقول

وكدت وهو ضجيعي ان اقول له * من شدة الحب قد ابعدت فاقترب

اومن يقول

ومن عجب اني احن اليهم * واسأل عنهم من رأى وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها * ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

والمراد بسعاد محبوبته المحدث عنها ولا وانما اعاد ذكرها بالاسم الظاهر لانه قصد

امست سعاد بأرض لا يبلغها * الا العتاق النجيبات المراسيل

ولن يبلغها الا عذافرة * فيها على الاين ارقال وتبغيل

استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف ارض سعاد بالبعد وذكر اوصاف
ما يوصل اليها وقوله بأرض اى فى ارض فالباء بمعنى فى كما فى قوله تعالى وما
كنت بجانب الغربى اى فى جانبه وقد بالغ فى بعدها حيث وصف الارض التى
امست بها سعاد بقوله لا يبلغها الا العتاق النجيبات المراسيل اى لا يبلغنى تلك
الارض الا الابل الموصوفة بثلاث صفات محمودة فى الابل ووجه المبالغة فى البعد
انه اختار الابل دون غيرها لان لها قوة على طول السير مع الاسراع لان لها
طاقة على حمل الاثقال وناهيك فى الاخبار عن تبليغها المسافة البعيدة قوله
تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والخيل وان
كانت اسرع سيرا منها لكن فى المسافة القصيرة وقد افاد هو انه لا يبلغها كل
نوع من الابل بل لا يبلغها الا الابل الموصوفة بأنها العتاق النجيبات المراسيل
وهذه الصفات ترجع اليها الاوصاف المحمودة فى الابل ومعنى يبلغها يوصلنى
اليها وهو بالتضعيف من بلغ بالتضعيف ايضا فيتعدى لمفعولين والاصل
لا يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول ومعنى العتاق بكسر العين التى هى جمع عتيق
الكرام الاصول سميت بذلك لانها عتقت من العيوب والمراد ما كان منها
منسوبا الى نتاج فحل كريم كالعزيزية والشدقية والجديلية نسبة الى عزيز
وشدقم والجديل وهى فحول كريمة ومعنى النجيبات التى هى جمع نجيبة القوية
الخفيفة وقيل النفيسة الفاضلة فى نوعها وقيل الكرام الاصول فيكون على هذا
توكيدا لقوله العتاق ويروى النجيات بتشديد الياء من غير باء موحدة ومعناها
السريعات وعلى هذه الرواية يكون قوله المراسيل بفتح الميم جمع مرسال
بكسرها توكيدا لان معناه السريعات من قولهم ناقة رسلة بفتح الراء وسكون
السين اذا كانت سريعة رفع اليدين فى السير وحاصل معنى البيت ان محبوبته التى
هى سعاد صارت بأرض بعيدة او دخلت فى المساء بأرض بعيدة لا يوصله اليها
الا الابل الكرام الاصول القوية السريعة لبعد مسافة ما بينى وبينها (قوله
ولن يبلغها الخ) هذا البيت زيادة تأكيد فى بعد المسافة لانه ذكر فيه انه لا يبلغه
تلك الارض الا الناقة الشديدة التى لا تكل بالتعب ولا يضعف سيرها بالاعياء
ويلوح بذلك لناقته وقد اطنب فى مدحها وأمعن فى وصفها فى تسعة عشر بيتا
نوصفها فى هذا البيت بوصفين من اوصاف الابل الجيدة فقال ولن يبلغها الخ

وفى بعض النسخ ولا يبلغها الخ وفى نسخة وما يبلغها الخ وعلى كل فهو معطوف على قوله لا يبلغها الا العتاق الخ فكل منهما صفة للارض وحينئذ فالضمير عائد الى الارض لا الى سعاد لانه لا بد من ان تشتمل الصفة على ضمير يعود على الموصوف فان قيل لو جعلنا الواو للاستئناف صح رجوع الضمير الى سعاد اجيب بأن فى جعلها للاستئناف خروجا عن اصلين احدهما نحوى وهو ان الاصل فى الواو العطف لا الاستئناف وثانيهما بيانى وهو ان تناسب الضمائر اولى من تنافرها وقوله الا عذافرة اى الا ناقة عذافرة فهى صفة لموصوف محذوف والعذافرة بضم العين وفتح الذال وبعدها الف وبفتح الفاء والراء الناقة الصلبة العظيمة ويقال للجمل عذافر اذا كان كذلك وقوله فيها وفى نسخة لها اى فى تلك الناقة او لتلك الناقة وقوله على الاين اى مع الاين فعلى بمعنى مع كما فى قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والاين الاعياء والتعب قال ابو زيد وابن فارس ولا يبنى منه فعل وقد خولفا وقوله ارقال مبتدا خبره الجار والمجرور قبله او فاعل بالظرف لانه اعتمد على موصوف والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء المهملة وقاف بعدها الف ولام ضرب من السير سريع قال الجوهرى هو نوع من الخبب وقال ابن الاثير هو فوق الخبب وقوله وتبغيل معطوف على ارقال والتبغيل بفتح التاء واسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء ساكنة ثم لام ضرب من السير سريع ايضا فوق الخبب ودون الارقال فلو ترقى المصنف لقال تبغيل وارقال لان الارقال اقوى من التبغيل واغا لم يصنع كذلك لضرورة النظم وكانه شبه بمشى البغال فلذلك سمى تبغيلا واعلم ان سير الابل فى الاسراع على مراتب فاولها العنق بفتح العين والنون فى آخره قاف وهو الذى يتحرك فيه عنق البعير وفى سائر مراتبه للناس اختلاف كبير والذى ذكره ابن اصبغ الازدى فى ارجوزته ان اعلاه التشعر بفتح التاء المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعدها راء مهملة وهو غاية الطاقة فى السير والارقال دونه فى الرتبة والتبغيل فوق العنق ودون الارقال فيكون سير تلك الناقة مع الاعياء والتعب دائرا بين الارقال والتبغيل فاذا اشتد بها التعب والاعياء يكون غاية ما ينتهى اليه سيرها فى قلة السرعة التبغيل واذا خف تعبها ترقت الى الارقال واما مع النشاط فيكون سيرها التشعر ولا تسير عنقا اصلا لقوتها على السير

السريع جدًّا فاذا كان سيرها مع الاعياء والتعب على هذين الضربين السريعين من السير فما ظنك بها اذا كانت فى حال نشاطها وحاصل معنى البيت انه لا يبلغ تلك الارض الا ناقة موصوفة بصفتين محمودتين فى الابل الاولى كونها عظيمة صلبة وهو المعنى بالعذافرة الثانى كونها لا تضعف بكثرة السير وهو المعنى بقوله لها على الاين ارقال وتبغيل فاذا كانت عظيمة صلبة سريعة السير مع الاعياء ومع عدمه بالاولى بلغ بها راكبها الى المدا البعيد فى الزمن القصير

(قوله من كل نضاخة الذفرى الخ) لما وصف الناقة بوصفين فى البيت الذى قبل هذا وهما كونها عظيمة صلبة وكونها لا تضعف بكثرة السير وصفها فى هذا البيت بوصفين وهما كونها كثيرة عرق الذفرى وكونها عارفة بالطريق الطامس الاعلام الذاهب الآثار فقال من كل نضاخة الذفرى الخ والجار والمجرور خبر لمبتدا محذوف تقديره هى أى الناقة المذكورة او حال من العذافرة ومن تبعيضية او مبينة للجنس قال ابن هشام الاول اوضح لان المعنى عليه ان تلك الناقة بعض افراد ذلك الجنس والثانى احسن لان المعنى عليه ان تلك الناقة جميع هذا الجنس على سبيل المبالغة ويحتمل وجها ثالثا وهو ان تكون لابتداء الغاية والمعنى عليه ان تلك الناقة ابتداء خلقها واتخاذها من هذا الجنس فيكون قصده ان يصفها بكرم الاصل ويؤيد هذا الثالث ان ابتداء الغاية هو المعنى الغالب على من ونضاخة الذفرى صفة لموصوف محذوف أى ناقة نضاخة الذفرى واضافة نضاخة للذفرى من اضافة الصفة لمعمولها بعد تحويل الاسناد والاصل نضاخة ذفراها ثم حول الاسناد عن الذفرى الى ضمير الناقة وانتصب على التشبيه بالمفعول به ثم أضيفت الصفة الى معمولها والنضاخة بفتح النون وتشديد الضاد وبعدها الف وخاء ثم تاء التأنيث الكثيرة السيلان يقال عين نضاخة اذا كانت كثيرة الماء وكانت فوّارة ومنه قوله تعالى فيهما عينان نضاختان أى فوّارتان وفيه مبالغتان من جهتى الزنة والمادّة اما الزنة فلانها محولة من فاعل الى فعال للتكثير والمبالغة واما المادّة فلان النضخ بالخاء المعجمة اعلى من النضح بالحاء المهملة لان الاول الرش الكثير والثانى القليل ولهذا قال حذاق اهل الاشتقاق ان الواضع يضع الحرف القوى للمعنى القوى والحرف الضعيف للمعنى الضعيف وذلك كوضعه القصم بالقاف الذى هو حرف شديد

من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول

الكسر

لكسر الشئ حتى ابين والفصم بالفاء الذى هو حرف رخو لكسر الشئ من غير ان يبان والذفرى بكسر الذال المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء المهملة وفى آخره الف التأنيث فهى بزنة ذكرى وهى النقرة التى خلف اذن الناقة وهى اول ما يعرق منها واشتقاقها من الذفر بفتحتين وهى الرائحة الظاهرة طيبة كانت كرائحة المسك اوغير طيبة كرائحة النتن ومن الاولى قولهم مسك اذفر ومن الثانى قولهم رجل ذفر أى له خبث ريح واما الدفر بالدال المهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة ثم ان الذفرى مفرد قائم مقام المثنى فأل فيها للجنس الصادق بالمتعدد اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة ونظيره قوله

الا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجارى دمعها لجمود

وفى كلامهم عكسه وهو كون المثنى قائما مقام المفرد كقول بشر

على كل ذى ميعة سابح * يقطع ذوابهريه الحزاما

وانما له ابهر واحد واجاز الفراء ان يكون من هذا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله اذا عرقت أى وقت ان عرقت بكسر الراء من باب طرب وهو ظرف لنضاخة ولا جواب لاذا ان جعلت مجردة عن معنى الشرط وان قدر فيها ذلك فعاملها شرطها والجواب محذوف والتقدير اذا عرقت فهى نضاخة الذفرى او الجواب مذكور وهو الجملة الاسمية بعدها وتكون الفاء حذفت للضرورة كما فى قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

وكأنه يصفها بشدة جهد نفسها فى السير حتى يصير العرق يسيل من ذفريها فان العرق لا يكون الامع اشتداد فى السير واهتمام به وناهيك ما وصف به ذفريها من النضخ الذى هو فى غاية الكثرة على ما تقدم تفسيره وقوله عرضتها طامس الاعلام مجهول اى همتها سلوك طريق مندرس العلامات مجهول المسالك فعرضتها بضم العين وسكون الراء وفتح الضاد بمعنى همتها ومنه قول حسان رضى الله عنه

وقال الله قد اعددت جندا * هم الانصار عرضتها اللقاء

وذكر التبريزى وجهين فى معنى عرضتها فى البيت احدهما انه من قولهم بعير عرضة للسفر اى قوى عليه والثانى ما يعرض ويمنع من الشئ ومنه قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أى لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم

ولامساغ لواحد من هذين المعنيين هنا وانما المعنى ماذكرناه كما قاله ابن هشام
ومعنى طامس الاعلام مندرس العلامات وهو صفة لموصوف محذوف مع تقدير
مضاف أي سلوك طريق طامس الاعلام كما اشرنا اليه في الحل وطامس اسم
فاعل من طمس الطريق اذا درس وانمحت اعلامه والاعلام بمعنى العلامات
جمع علم بمعنى العلامة ومجهول صفة لطامس مؤكدة لان كل طامس مجهول
ولهذا لم نجعله خبرا لان الخبر لا يكون مؤكدا لو قصده بذلك وصفها بمعرفة الطريق
الطامس الاعلام لكثرة اسفارها وسلوكها المفازات وهذا وصف شريف من
اوصاف الابل فربما ضل الراكب عن الطريق لنوم او غيره فيهلك فاذا كانت
ناقته لها دراية بمعرفة الطريق نجت به من تلك المفازة وقد حكى ابو على بن سيناء
انه كان في ركب فضلوا عن الطريق في مفازة عظيمة كادوا يهلكون فيها فعمدوا
الى بعير كان معه فألقوا زمامه على غاربه وارسلوه فسار بهم ومازال يقفو
الطريق حتى خلص بهم الى المقصد الذي كانوا يقصدونه فسبحانه الملهم وحاصل
معنى البيت ان هذه الناقة كثيرة العرق من ذفريها وذلك لا يكون الامع اشتداد
في السير وجهد نفسها فيه وانها عارفة للطريق المندرس العلامات المجهول
المسالك لكثرة اسفارها وسلوكها المفازات (قوله ترمى الغيوب الخ) لما
ذكر في البيت الذى قبل هذا ان همتها سلوك الطريق المندرس العلامات
المجهول المسالك بين في هذا البيت وجه اهتمامها بذلك وهو انها في غاية حدة
البصر حتى انها بمجرد رمي بصرها الى الارض تدرك الطريق وتبين السبيل فقال
ترمى الغيوب الخ أي ترمى تلك الناقة الغيوب والمراد برمى الغيوب ايقاع النظر
عليها بسرعة فانه يشبه الرمى في سرعة الوقوع على المحل والغيوب بضم الغين اما
جمع غائب كشهود جمع شاهد او جمع غيب كفلوس جمع فلس لكن في الثاني
تجوز اذ الغيب في الاصل مصدر غاب ثم اطلق على الغائب والمراد بالغيوب آثار
الطريق التي غابت معالمها عن العيون وقوله بعيني مفرد لهق أي بعينين مثل
عيني مفرد لهق فحذفت الصفة وهي لفظ مثل والمضاف بعدها والجار والمجرور
متعلق بترمى والمفرد هو الثور الوحشي الذي انفرد عن انيسته وقد غلب عليه
وصف المفرد كما غلب الاغن على الظبي فتى قيل مفرد انصرف للثور المذكور
وانما شبه عينيها بعينيه لانه الف البرارى والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها

ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق * اذا توقدت الحزاز والميل

ضخم مقلدها عبل مقيدها * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل

واعتاد الصبر على شدة الحر ولكونه من احد الوحوش نظرا خصه بالتشبيه به
فى حدة النظر واعتبر حال تفرده عن انيسته لانه حينئذ يكثر تحديقه للنظر ويقوى
نشاطه وخفته ومعنى لهق بفتح الهاء وكسرها الابيض فان قيل لم خصه
بالابيض مع انه لا مدخل للون فى تشبيه الناقة بالثور الوحشى فى تحديق النظر
وحدته أجيب بأن ذلك لمعنى آخر غير تحديق النظر وحدته وهو زيادة الحسن لان
عين البقر الوحشى فى غاية السواد فاذا كان الثور من البقر الوحشى أبيض مع شدة
سواد عينيه يكون فى غاية من الحسن وذكر بعضهم انه اذا كان أبيض كان اقوى
فى النظر وعليه فوصف الثور الوحشى بالابيض له مدخل فى تشبيه الناقة به
فى حدة البصر وقوله اذا توقدت الحزاز والميل أى وقت توقدهما فاذا بمعنى وقت
مجرد عن معنى الشرط وهو ظرف لترمى الغيوب الخ وان قدر فيه معنى الشرط
فعامله شرطها والجواب محذوف دل عليه ما تقدم أى فهى ترمى الغيوب وعلى
كل فلا مفهوم له لانها اذا كانت حديدة البصر فى هذه الحالة لكون شدة
الحر لا تقدح فى بصرها ولا تؤثر فى عينيها بل كانت همتها ما كانت عليه من
استخراج المغيبات ومعرفة المسالك الخفيات فما ظنك بها فى غير هذه الحالة
والمراد بالتوقد هنا اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزاز بكسر الحاء المهملة
وتشديد الزاى وفى آخره زاى أيضا هى الامكنة الغليظة الصلبة وهى جمع حزيز
بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى وفى آخره زاى أيضا وهو المكان الغليظ الصلب
ويجمع فى القلة على أحزة كعزيز وأعزة والميل بكسر الميم جمع ميلا بفتحها وهى
العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذى هو مد البصر وليس بشئ وعبارة
التبريزى والميل من الارض معروف وليس فى عبارته ما يعين المراد وحاصل معنى
البيت ان هذه الناقة فى غاية حدة البصر حتى انها تبصر ما غاب من آثار الطريق
عن العيون بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشى الابيض وقت اشتداد الحر
فى الامكنة الغليظة الصلبة والرمال المنعقدة الضخمة حتى كأنها توقدت نارا
وفى غير هذا الوقت من باب اولى **(قوله ضخم مقلدها الخ)** لما وصفها فى البيت
قبل هذا بأنها فى غاية حدة البصر وصفها فى هذا البيت بأنها فى غاية الضخامة
والقوة والحسن على ما يقتضيه تفسير كلامه الآتى فقال ضخم مقلدها الخ أى
غليظ موضع القلادة منها فالضخم بفتح الضاد وسكون الخاء الغليظ وهو وصف

من ضخم بضم الخاء ضخما بكسر الضاد وفتح الخاء مثل غلظ غلظا وزنا ومعنى
ويقال ضخامة كشهامة ومقلدها بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام موضع
القلادة من العنق والظاهر ان المراد به هنا جميع العنق تسمية للكل باسم الجزء
ويؤيده قوله في البيت الآتي غلباء فان المراد به غليظة العنق كما سيأتي قال ابن
هشام وقد عيب على الناظم في ذلك فقد قال الاصمعي هذا خطأ في الوصف وانما
خير النجائب ما يدق مذبحه وقال ابو هلال العسكري في كتاب الصناعتين من
خطأ الوصف قول كعب بن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح
وقد كره هذا الوصف اذ قال في البيت بعده غلباء على ما سيأتي ويجاب عن الناظم
بما قاله بعضهم من ان الضخم يمكن تفسيره بالعظيم في ذاته والحسن في صفاته
وهذا لا ينافي رقة المذبح وقوله عبل مقيدها ويروى فعم مقيدها اي غليظ موضع
القيد منها فالعبل بفتح العين وسكون الباء وباللام في آخره الغليظ وكذا الفعم
بفتح الفاء وسكون العين وبالميم في آخره فهو بمعنى العبل ومقيدها بضم الميم وفتح
القاف وتشديد الياء موضع القيد منها وهو قوائمها ويجوز في كل من ضخم
وعبل اوفعم اوجه الاعراب الثلاثة أما الرفع فعلى انه خبر لهي مضمرة اوصفة
لعذافرة او على انه خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخرا وعلى انه مبتدأ وما بعده فاعل
سد مسد الخبر بناء على رأي ابي الحسن والكوفيين من عدم اشتراط الاعتماد
واما النصب فعلى انه مفعول لمحذوف تقديره امدح مثلا او على انه حال من
عذافرة واما الجر فعلى انه صفة لنضاخة على لفظها او لعذافرة على معناها لان
المعنى غير عذافرة فقد اجاز ابن خروف وجماعة منهم ابن مالك ان تقول ما جاءني
الا زيد وعمرو بخفض عمرو على معنى ما جاءني غير زيد وعمرو وقوله في خلقها عن
بنات الفحل تفضيل اي في خلقتها عن الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد
للضراب تفضيل لها في الهيئة والقوة فخلقها بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى الخلقة
والمراد ببنات الفحل الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب وعن الداخلة
على بنات الفحل بمعنى على وهي متعلقة بتفضيل ويصح ابقاؤها على بابها
وتكون متعلقة بمحذوف تقديره مميزة او ممتازة وفي خلقها خبر مقدم وتفضيل
مبتدأ مؤخر وسوغ الابتداء به تقديم الخبر وهو جار ومجرور والوصف المستفاد
من التنوين اي تفضيل جليل فيه تبجيل وهو محتمل لان يراد منه انها مفضلة على

غيرها

غيرها في عظم الخلقة والضخامة او في حسن الخلقة والتكوين او فيهما معا فعلى الاول يكون فيه اشارة الى ان بين اجزائها تناسبا وهو من صفات المدح بخلاف ما اذا كان بعض اجزائها لايناسب بعضا في الضخامة فانه مما يذم به وعلى الثاني يكون فيه اشارة الى انها جمعت بين ضخامة العنق والقوائم التي هي دليل على قوتها في السير وبين حسن التكوين وعلى الثالث تكون جمعت بين الضخامة وعظم الخلقة وحسن التكوين والحاصل انه وصفها في هذا البيت بثلاث صفات الاولى ضخامة العنق وذلك موذن بضخامة جميع هامتها وعظمها والثانية عظم قوائمها وذلك دليل على قوتها في السير وطاقتها على ثقل الحمل والثالثة تفضيلها على غيرها في عظم الخلقة او في حسن التكوين او فيهما معا وقد اشتمل الشطر الاول من هذا البيت على انواع من البديع احدها الجناس بين مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفي لتخالف الكلمتين في اللام والياء ويسمى مثل ذلك اذا تقارب مخرج الحرفين جناسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفي الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير واذا لم يتقارب مخرجهما جناسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ثانيها التسجيع وهو اتفاق الفقرتين في الحرف الخاتم لهما ثالثها الترصيع وهو توازي كلمات السجع ومن بديع ما جاء فيه قول الحريري فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (قوله غلباء وجناء الخ) قد وصف تلك الناقة في هذا البيت بستة اوصاف الاول غلظ العنق وهو المعنى بقوله غلباء بفتح الغين وسكون اللام وفتح الباء بعدها الف التأنيث أي غليظة الرقبة ويقال للذكر اغلب وفعله غلب بكسر اللام يغلب بفتحها غلبا بفتحتين واما غلب بفتح اللام يغلب بكسرها فكل منهما فعل الغالب قال تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وجمع غلباء واغلب غلب بضم فسكون قال تعالى وحدائق غلبا اى غليظة الاشجار فهو مستعار من غلظ العنق لغلظ الاشجار ويطلق على قصر العنق وميل فيه ولا يصح ارادة ذلك هنا لئلا يتناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول العنق كما سيأتي وقد تكرر منه الوصف بعظم العنق في بيتين متواليين على ما علمته من تفسير كلامه الثاني عظم الوجنتين وهو المعنى بقوله وجناء بفتح الواو وسكون الجيم وفتح النون بعدها الف التأنيث اى العظيمة الوجنتين وهما ما ارتفع من الخدين وهذا الوصف ممدوح

غلباء وجناء علكوم مذكرة * في دفها سعة قدامها ميل

وجلدها من اطوم لا تؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول

فى الابل بخلافه فى الخيل فان الممدوح فيها قلة لحم الخدين وقيل الوجناء الناقة الشديدة اخذا من الوجين وهو ما صلب من الارض وعلى هذا فالوجناء موافقة لمعنى العذافرة فان المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم الثالث كونها شديدة وهو المعنى بقوله علكوم بضم العين وسكون اللام وضم الكاف بعدها واو فى آخره ميم فمعناه الشديدة وهو من الاوصاف المختصة بالابل ويستوى فيه المذكر والمؤنث ولا شك ان كونها شديدة هو أعلى اوصافها فلذلك تكرر وصفها به الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعنى بالمذكرة بضم الميم وفتح الذال وتشديد الكاف المفتوحة وفتح الراء وفى آخره تاء التأنيث فالمعنى انها كالذكر من الاباعر فى عظم خلقتها وقد تكرر ايضا وصفها بكونها عظيمة الخلقة وقد يراد بالمذكرة ما هو اعم من عظيمة الخلقة فقد قال بعض الحكماء ان المذكر من الابل أحسن خلقا واقل عبثا وأعز نفسا واكرم عهدا وادوم ودا واصبر على المكروه من الانثى الخامس كونها واسعة الجنبين وهو المعنى بقوله فى دفها سعة فان الدف بفتح الدال وتشديد الفاء الجنب والمراد جنباها جميعا فهو مفرد أريد به مثنى كما تقدم نظيره والسعة بفتح السين ضد الضيق وكونها واسعة الجنبين يستلزم كونها عظيمة الخلقة ففى هذا الوصف تأكيد للوصف قبله السادس كونها طويلة العنق وهو المعنى بقوله قدامها ميل فهو كناية عن طول العنق وقدام ضد خلف والميل بكسر الميم مد البصر وهو مقدر بأربعة آلاف ذراع بالذراع الهاشمى وهو ذراع قدره بنو العباس حين خلافتهم ونسب الى بنى هاشم لكون بنى العباس منهم قال السيوطى وما وقع لبعض اصحابنا الشافعية من نسبته الى هاشم جد النبى صلى الله عليه وسلم نسب فيه الى الوهم ويحتمل انه أراد بقوله قدامها ميل كونها واسعة الخطوة جدا حتى كانها قدر ميل فعلى التفسير الاول يكون المصنف قد وصفها فى أول البيت بغلظ العنق وفى آخره بطوله فأكمل لها الوصفين وفيه من تمام حسنها ما لا يخفى وعلى التفسير الثانى يكون المصنف قد وصفها بسرعة السير التى هى المقصود الاعظم وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة غليظة الرقبة عظيمة الوجنتين اوصلبة شديدة عظيمة الخلقة كالذكر من الاباعر واسعة الجنبين طويلة العنق اوواسعة الخطوة (قوله وجلدها من اطوم الخ) اى وهذه الناقة جلدها كأنه من جلد اطوم لنعومته وملاسته فالمعنى على

التشبيه واختلف فى الاطوم بفتح الهمزة فقال التبريزى انها الزرافة وقال فى المحكم هى سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة فى البحر يشبه بجلدها جلد البعير الاملس ويتخذ من جلدها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وحملها على السلحفاة اولى لوجهين احدهما ان استعمال الاطوم فيها أكثر حتى ان الجوهرى وكثيرا من اهل اللغة لم يذكروا استعمالها فى الزرافة وثانيهما ان ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها ابلغ وجزم بعضهم بان اطوم فى البيت بضمتين وهى الحصون وقال انه شبه جلدها بالحصون القوية وقال ابن العربى الاطوم القصور ولا يخفى ما فى ذلك من البعد وقوله لا يؤيسه طلح اى لا يذلله ولا يؤثر فيه قراد وفى نسخة التعبير عما بدل لا ويؤيسه بضم الياء المثناة التحتانية وفتح الهمزة وتشديد الياء المثناة التحتية المكسورة وضم السين المهملة يقال أيسه تأييسا ذلله وأثر فيه والطلح بكسر الطاء وسكون اللام فى آخره حاء مهملة هو القراد ويقال ايضا طليح بزيادة ياء وهذه الجملة اما خبر ثان للمبتدا وهو جلدها او مستأنفة لبيان جهة التشبيه وقوله بضاحية المتنين اى فى الضاحية المنسوبة للمتنين فالباء بمعنى فى ويصح ان تكون بمعنى على والاضافة على معنى اللام وضاحية كل شئ ناحيته البارزة للشمس من ضحى يضحى اذا برز للشمس قال تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى اى لا تبرز للشمس والمراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم وهما تثنية متن بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية وأل فى المتنين خلف عن الضمير على رأى من يجيز ذلك والمراد بضاحية المتنين ما برز من متنيها للشمس وانما خصها بالذكر لان القراد فى الشمس تقوى همته وتكثر حركته ويشتد امتصاصه للدم بخلافه فى غير الشمس فانه تضعف همته وتقل حركته وينقص امتصاصه للدم من البرد وقد وصف جلدها بانه لا يؤثر فيه القراد الكائن فى ضاحية متنيها فلأن لا يؤثر فيه فى البرد اولى وقوله مهزول صفة لطلح اى مهزول من الجوع واذا كان لا يستطيع التأثير فيه مع شدة الجوع التى يكون فيها أشد انهماكا على امتصاص الدم وأكثر ولعا بذلك كان لا يؤثر مع الشبع من باب اولى لانه مع الشبع لا ينهمك على امتصاص الدم ولا يكثر ولوعه به وحاصل معنى البيت ان جلد هذه الناقة فى غاية النعومة والملاسة فلا يؤثر القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس

من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال (قوله حرف الخ) اى هى حرف الخ فحرف خبر لمبتدا محذوف تقديره هى ويحتمل انه صفة لعذافرة والمعنى على التشبيه فالتقدير مثل حرف او كحرف بملاحظة ان الكاف اسم بمعنى مثل ولا يحسن ان تضمر الكاف الحرفية لضعف حرف الجر وانه جعلها نفس الحرف مبالغة والمراد بالحرف هنا حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه وتشبيهها به فى القوة والصلابة واما احتمال ارادة حرف الخط وتشبيهها به فى الضمور والدقة فينافيه ما تقدم من وصفها بعظيم الخلقة وسعة الجنبين وغير ذلك قال الشاعر وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط اى ورب ناقة كحرف الجبل فى الصلابة والشدة كنون فى الضمور والدقة تحت رجل يضرب رئتها يقال رئته اذا ضربت رئته ولم يكن برافق فى سيره يقال دلى فى سيره اذا رفق يقصد رسم الدار حال كونه قد غيره النقط بمعنى المطر وقوله اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها الى آخر البيت بقوله حرف وتقدم ان المراد تشبيهها به فى القوة والصلابة اتبعه بذكر خلوص نسبها بقوله اخوها ابوها وعمها خالها وهو محتمل لان يكون المراد أن اخاها يشبه اباها فى الكرم وان عمها يشبه خالها فى ذلك وعلى هذا فيكون فى ذلك اشارة الى انها موصوفة بكرم النسب وجودة الاصل ويحتمل أيضا لان يكون المراد ان اخاها ابوها حقيقة وان عمها خالها كذلك وصور ابو على الفارسى قوله اخوها ابوها بأن ناقة اتت بفحل فضربها فأتت بهذه الناقة فأخوها وهو ذلك الفحل ابوها وصور قوله وعمها خالها بأن يضرب ابو ابيها ام امها فتأتى ببعير فعمها وهو ذلك البعير خالها وصورتهما معا ان يضرب فحل بنته فتأتى ببعيرين فيضرب احدهما امه فتأتى بناقة فاحد البعيرين اخوها وابوها وهو الذى ضرب امه فأتت بتلك الناقة فهو اخوها من امها وابوها والبعير الثانى عمها لانه اخو ابيها لابيه وامه وخالها لانه اخو امها لابيها وعلى هذا يكون فى ذلك اشارة الى كمال قوتها وصلابتها وغاية كرمها ونجابتها لان البهائم الى قراباتها اشهى منها الى غيرها ومتى كانت الشهوة اكمل كان الولد اقوى وانجب فتقارب الانساب مدح فى الابل لانه فيها سبب للقوة والنجابة بواسطة كثرة الشهوة فى القرابات بخلافه فى الآدميين فانه سبب للضعف لان شهوة الانسان انما تتحرك وتثور بالنظر واللمس للامر الجديد الغريب اما المعهود الذى دام النظر اليه فلا تتحرك

حرف اخوها ابوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل

الشهوة

الشهوة ولا تثور بالنظر واللمس له ولذلك قال بعضهم

ان اردت الانجاب فانكح غريبا * والى الاقربين لا تتوصل

فانتقا الثمار اطيبا وحسنا * ثمر غصنه غريب موصل

وفى الحديث اغتربوا ولا تضووا والضوى بوزن الهوى هو الضعف والهزال فى الولد وذلك بتزوج القرابات والعرب تمدح بضد ذلك قال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديد الاقارب

وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا والضاوى الشديد النحافة وقد اثبت لتلك الناقة كرم الاصل بقوله من مهجنة وهو صفة لحرف ومن بيانية أو تبعيضية فالمعنى هى ناقة مهجنة او بعض نياق مهجنة والمهجنة بضم الميم وفتح الهاء وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون وفى آخره تاء التأنيث كريمة الابوين من الابل والهجائن كرائم الابل فالتهجين مدح فى الابل واما فى الآدميين فهو ذم لان معناه فيهم ان يكون الاب عربيا والام امة فيقال للرجل حينئذ هجين وان كان الامر بالعكس قيل رجل مقرف وفلنقس بوزن سفرجل اوله فاء ورابعه قاف قال الراجز

العبد والهجين والفلنقس * ثلاثة فأيهم تلتمس

وقال آخر

كم بجود مقرف نال العلى * وكريم بخله قد وضعه

ثم وصفها بصفتين من صفات كرام الابل الصفة الاولى طول الظهر والعنق وهو المعنى بقوله قوداء بفتح القاف وسكون الواو وفتح الدال وفى آخره الف التأنيث وهى الطويلة الظهر والعنق وهى من صفات الابل التى يتمدح بها والصفة الثانية الخفة والسرعة وهو المراد بقوله شمليل بشين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة بعدها ياء وفى آخره لام أيضا وهى الخفيفة السريعة وهى من اجد الاوصاف فى الابل فان قيل قد تقدم وصفها بطول العنق فى قوله قدامها ميل وتقدم وصف الخفة والسرعة فى قوله النجيبات المراسيل على ما تقدم أجيب بأن الذى تقدم فى قوله قدامها ميل طول العنق فقط على احد الاحتمالين فيه والذى ذكره هنا بقوله قوداء طول الظهر والعنق معا والشئ مع غيره غيره فى نفسه ووصف الخفة والسرعة الذى تقدم فى قوله النجيبات المراسيل راجع الى الوصف العام فى الابل والذى ذكره هنا بقوله شمليل الوصف المقصور على

هذه الناقة المخصوصة وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة فى غاية الصلابة كريمة الاصل خالصة النسب طويلة الظهر والعنق خفيفة سريعة (قوله يمشى القراد عليها الخ) أى يمشى القراد على تلك الناقة والقراد بضم القاف واحد القردان كغلام واحد الغلمان وهو حيوان معروف يلزق بالدابة وقوله ثم يزلقه بضم الياء وكسر اللام من الازلاق وهو بوزن افعال من الزلق الذى هو نقيض ثبات القدم فالمعنى ثم يسقطه وثم هنا لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى كما فى قول الشاعر كهز الردينى تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب

اذ لا يتطاول مشى القراد عليها و يتراخى ازلاقه عنه كما انه لا يتأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز فى انابيبه وقوله منها أى عنها فمن بمعنى عن مثلها فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أى عن ذكر الله ويؤيده انه روى عنها وخير ما فسرته بالوارد وقوله لبان فاعل يزلقه واللبان بفتح اللام هنا الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين اليدين يكون للانسان وغيره وأما بكسر اللام فهو الرضاع يقال هو اخوه بلبان امه ولا يقال بلبن امه وبضمها هو الصمغ المسمى بالكندر وان زدت عليها الهاء فقلت لبانة كان معناها الحاجة قال ابن هشام كذا اطلقه الجوهرى وغيره وقيده صاحب المحكم من غير فاقة وقوله واقراب عطف على لبان والاقراب بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الراء وبعد الالف باء موحدة الخواصر وهى جمع قرب بمعنى الخاصرة كابعاد جمع بعد والمراد بالجمع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقوله زهاليل صفة لقوله لبان واقراب معا والزهاليل بفتح الزاى والهاء وبعد الالف لام ان بينهما ياء الملس وهى جمع زهلول كعصفور وهو الشئ الاملس فان قيل لم خص الصدر والخواصر بازلاق القراد دون غيرهما من سائر بدنها أجيب بان هذين الموضعين اخشن ما يكون فى الناقة لمماستهما الارض اذا بركت ومع ذلك يزلقان القراد لملاستهما ويفهم غيرهما بالطريق الاولى وحاصل معنى البيت ان تلك الناقة يمشى القراد عليها ولا يثبت بل يسقط لانها فى غاية الملاسة وذلك مما يستحسن فى اوصاف الابل وهذا البيت فى الحقيقة مؤكد لقوله وجلدها من اطوم فى البيت المتقدم فلو ذكره بجنبه لكان اولى كما قاله ابن هشام وقال بعضهم قد يقال الغرض من قوله وجلدها من اطوم الخ وصفها بالصلابة بحيث ان الطلح الذى هو القراد لا يؤثر فيه

لصلابته

يمشى القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان واقراب زهاليل

عيرانة قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها * من خطمها ومن اللحيين برطيل

لصلابته وهذا قدر زائد على ماذكره فى هذا البيت وهو ملاسة جلدها بحيث يزلق القراد عنها (قوله عيرانة الخ) أى هى عيرانة الخ والعيرانة بفتح العين المهملة وسكون الياء وفتح الراء وبعد الالف نون وفى آخره تاء التأنيث المشبهة عير الوحش اى حماره فى سرعته ونشاطه وصلابته وقوله قذفت بالنحض عن عرض اى رميت باللحم من كل جانب من جوانبها فقذفت بصيغة المجهول بمعنى رميت و يروى بالتشديد للتكثير كما يروى بالتخفيف والنحض بفتح النون وسكون الحاء و بالضاد المعجمة اللحم حتى انه يروى باللحم بدل بالنحض وعن بمعنى من والعرض بضمتين او بضم فسكون الجانب والمراد منه هنا العموم بقرينة سياق المدح لان النكرة فى سياق الاثبات قد تعم بالقرينة وقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول أى مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الاضلاع وغيرها فتكون مصونة عن الضغط والزلق لبعد مرفقها عن اضلاعها فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها ومرفقها مبتدأ ومضاف اليه ومفتول خبره وعن بنات الزور متعلق به والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه معروف وهو مما قام فيه المفرد مقام المثنى لان لها مرفقين فالاضافة فى مرفقها للجنس الصادق بالمتعدد وبنات الزور ما يتصل بالصدر مما حوله من الاضلاع وغيرها فالزور بفتح الزاى الصدر وقيل وسطه وقيل غير ذلك كما فى القاموس والمفتول اسم مفعول من الفتل بالفاء وهو الصرف يقال فتل وجهه عنهم صرفه كما فى القاموس ايضا والحاصل انه وصف الناقة فى هذا البيت بثلاث صفات الصفة الاولى الصلابة بحيث انها تشبه عير الوحش فى صلابته وقوته فانه من اشد الحيوانات صلابة وقوة وهذا هو المعنى بقوله عيرانة وقد تكرر له وصف الناقة بالصلابة فى غير موضع الا انه بألفاظ مختلفة فلذلك حسن التكرار وقد يريد بذلك التأكيد فان هذا الوصف هو المقصود الاعظم من صفات الابل الصفة الثانية السمن وهو المعنى بقوله قذفت بالنحض عن عرض وقد تكرر له هذا الوصف ايضا لكنه بألفاظ مختلفة فاذا كانت سمينة ولا ينقص سمنها مع طول السير وشدته كانت فى غاية النفاسة التى تكون خارقة للعادة الصفة الثالثة تجافى مرفقيها عما حوالى صدرها وهو المعنى بقوله مرفقها عن بنات الزور مفتول على ما تقدم تفسيره فاذا كان مرفقها متجافيا عما حوالى صدرها كان ذلك اسلم لها فى السير عن التعب وابعد لما فيه عن العطب (قوله كأنما فات عينيها الخ)

تمر مثل عسيب النخل ذا خصل * فى غارز لم تخونه الاحاليل

حاصله انه شبه وجهها بالبرطيل فى القوة والصلابة والاستطالة والصورة فى الجملة
على ماسيأتى فكأن اداة تشبيه وما اسم موصول بمعنى الذى وهى اسم كأن
وجملة فات صلة والعائد الضمير المستتر فى فات وعينها مفعول ومذبحها معطوف
على عينها ومن خطمها بيان لما ومن اللحيين معطوف على من خطمها وبرطيل
خبر كأن قال الاصمعى الوجه كله فات العينين الا الجبهة فانها تكون فوقهما
والمذبح والمنحر واحد والخطم بفتح الخاء المعجمة قال ابو عبيدة الانف ورد بأنه
لا يختص بالانف لانه الموضع الذى يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره
تسميتهم الموضع الذى يقع عليه الرسن مرسنا واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان
تنبت عليهما الاسنان السفلى من الانسان وغيره من بقية الحيوانات والبرطيل
بكسر الباء معول من حديد او حجر مستطيل والتشبيه بالاول فى القوة والصلابة
وبالثانى فى الاستطالة والصورة فى الجملة وحاصل المعنى ان وجهها الذى بين عينيها
ومذبحها وقد بينه بقوله من خطمها ومن اللحيين شبه المعول من الحديد
فى القوة والصلابة او الحجر المستطيل فى الاستطالة والصورة فى الجملة وفى نسخة قاب
بدل فات وقاب الشئ بقاف وباء موحدة قدره وعلى هذه النسخة فما كافة
لكأن عن العمل وقاب مبتدأ مضاف لعينها ومذبحها ومن فى قوله من خطمها
ومن اللحيين للابتداء واضافة القاب للعينين والمذبح لادنى ملابسة والمراد قاب
وجهها المنتهى الى عينيها وقاب عنقها المنتهى الى مذبحها وبرطيل خبر المبتدأ
لكن على تقدير مضاف اى قدر برطيل بمعنى المعول من حديد بالنظر للوجه
وبمعنى الحجر المستطيل بالنظر للعنق فهو على التوزيع وحاصل المعنى على هذه
النسخة كأنما قدر وجهها المنتهى الى عينيها حال كونه مبتدأ من خطمها
قدر معول من حديد فى القوة والصلابة وقدر عنقها المنتهى الى مذبحها حال
كونه مبتدأ من اللحيين قدر حجر طويل فى الطول والصورة فى الجملة ولا يخفى ما فى
ذلك من التكلف (قوله تمر مثل عسيب النخل الخ) اى تمر الناقة ذنبا مثل
جريد النخل فى الطول والغلظ وهذا من الصفات المحمودة التى تكون فى الابل
فالفاعل ضمير يعود على الناقة وتمر بضم التاء مضارع امر ومثل صفة لموصوف
محذوف وهو المفعول وعسيب النخل جريده الذى لم ينبت عليه الخوص فان نبت
عليه سمى سعفا واما عسيب فى قول امرء القيس

اجارتنا

اجارتنا ان الخطوب تنوب * وانى مقيم ما اقام عسيب
اجارتنا انا غريبان هاهنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا * وان تهجرينا فالغريب غريب

فهو اسم جبل دفن عنده امرء القيس وقوله ذا خصل أى صاحب لفائف من الشعر فذا بمعنى صاحب وخصل بضم الخاء وفتح الصاد اللفائف من الشعر وهى جمع خصلة بضم الخاء وسكون الصاد وفى ذلك اشارة الى كونه كثير الشعر وهو من الصفات المحمودة فى الابل وقوله فى غارز اى على ضرع ففى بمعنى على والمراد من الغارز هنا الضرع وجعل التبريزى اصله من قولهم غرزت الناقة بفتح الراء تغرز بضمها اذا قل لبنها قال ابن هشام ومثله السيوطى ولا أدرى ما معنى هذا الاصل والجار والمجرور متعلق بمر وقوله لم تخونه الاحاليل اى لم تنقصه مخارج اللبن لكون الناقة حائلا لاتحلب وذلك اقوى لها على السير فالمقصود نفى الضعف عنها فالاحاليل هى مخارج اللبن لانها جمع احليل وهو مخرج اللبن وهذا هو المراد هنا ويطلق أيضا على مخرج البول وتخونه بفتح التاء والخاء وتشديد الواو المفتوحة واصله تتخونه بتاءين حذفت احداهما فهو مضارع تخون بمعنى تنقص ومنه قول لبيد تخونها نزولى وارتحالى اى تنقص هذه الناقة نزولى عنها وارتحالى عليها وليس ببعيد ان يقال انما سمى ما يؤكل عليه خوانا بكسر الخاء وضمها لانه يتخون ما عليه اى يتنقص والتخوف بالفاء يأتى بمعنى التخون بالنون ومنه قوله تعالى او يأخذهم على تخوف اى تنقص ويأتى التخون بمعنى التعهد ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة اى يتعهدنا بها وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة ترذنبا مثل جريد النخل فى الغلظ والطول صاحب لفائف من الشعر لكونه كثير الشعر على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن لكونها لاتحلب فيكون ذلك اقوى لها على السير كما علمت (قوله قنواء الخ) أى هى قنواء الخ والقنواء بفتح القاف وسكون النون وفتح الواو وبالمد المحدودبة الانف واشتقاقها من القنا بوزن العصا وهو احديداب فى الانف ومنه قيل للرجل اقنى اذا كان محدودب الانف وقد عد الناظم هذا الوصف من الاوصاف المحمودة فى الابل لكن المنقول عن العرب ان القناء عيب فى الابل كما هو عيب فى الخيول ويروى وجناء بدل قنواء ويلزم على هذه الرواية التكرار لتقدم

قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل

هذا الوصف في البيت الثامن عشر وهو قوله غلباء وجناء علكوم مذكرة الخ
ويمكن دفع التكرار بأنه تقدم تفسير الوجناء بمعنيين أحدهما الصلبة والثاني
العظيمة الوجنتين فيجوز ان يكون قصد هناك المعنى الاول وهو الصلبة لان
كلامه هناك في عظم خلقها والمناسب له الصلابة والقوة وقصد هنا المعنى الثاني
وهو العظيمة الوجنتين لان كلامه هنا في حسن الوجه والرأس والمناسب له عظم
الوجنتين لا يقال يعكر على ذلك قوله وفي الخدين تسهيل لانا نقول المراد بالوجنتين
طرفا الخدين فيجوز ان يكون الخدان اسيلين مسترسلين وطرفاهما عظيمين ويكون
كل منهما معدودا من المحاسن وقوله في حرتيها للبصير بها عتق مبين أي في اذنيها
للعارف بها كرم ظاهر فالحرتان بضم الحاء وتشديد الراء وبعدها تاء مثناة من فوق
الاذنان وقد روى السكري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال
لاصحابه رضي الله عنهم ما حرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال
عليه الصلاة والسلام هما اذناها والبصير بها معناه العارف بها بحيث يكون له
معرفة بكرام الابل والعتق بكسر العين وسكون التاء على الصواب وان ضبطه
السيوطي وتبعه المحلي بفتح التاء وفي آخره قاف الكرم والمبين الظاهر فهو اسم فاعل
من أبان بمعنى بان أي ظهر ولا يخفى ان قوله في حرتيها خبر مقدم وعتق مبتدأ
مؤخر ومبين صفة وللبصير متعلق بمبين وبها متعلق بالبصير وكأنه يصفها
بحسن اذنيها بحيث اذا تأملهما من له معرفة بكرام الابل حكم عليها بأنها من النوق
الكرام ويستحسن في الابل طول الاذنين فانه مما يدل على كرمها وقوله وفي
الخدين تسهيل أي وفي خديها سهولة ولين لا خشونة ولا حزونة وقيل أي وفي
خديها انحدار لا نتوء فيهما اسيلان لا ارتفاع فيهما وهذا من الصفات المحمودة
في الابل وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة محدودبة الانف او عظيمة الوجنتين
على ما تقدم من الروايتين للعارف بالابل الكرام كرم ظاهر في اذنيها لحسنهما
وطولهما فاذا تأملهما من له معرفة بكرام الابل ادرك فيها الكرم والنجابة وفي
خديها سهولة وليونة او انحدار على ما تقدم من الخلاف في معنى قوله وفي الخدين
تسهيل (قوله تخدي على يسرات الخ) أي تسرع بقوائم خفاف فتخدي
بمعجمة فمهملة كترمي بمعنى تسرع من خدى البعير يخدي اذا اسرع كما في القاموس
ويروى بمعجمتين بمعنى تسترخي من خذا يخذو اذا استرخى كما في القاموس ايضا

تخدي على يسرات وهي لاحقة * ذوابل مسهن الارض تحليل

وهذا

وهذا ابلغ في المدح لانها مع استرخائها في السير تلحق النوق السوابق فكيف لو اسرعت وعلى بمعنى الباء ويصح ان تكون على حقيقتها باعتبار استعلاء الماشية على قوائمها واليسرات بفتحات القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا اكمل وقوله وهي لاحقة اي والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها اوبالديار البعيدة عنها فالواو واو الحال و يروى وهي لاهية اي وهي غافلة عن السير فهي تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة كأن ذلك صار سجية لها وقد فسر ابن هشام اللاحقة بالضامرة قال وضمير هي لليسرات لا للناقة لامرين احدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة ثانيهما انه ان لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض لازم لقوله فعم مقيدها الا ان معناه ان اطرافها غليظة ويجاب بأن المراد بالفعومة غلظ الاعصاب والعظام وبالضمور رقة اللحم فلا تنافي واذا كانت قوائمها قليلة اللحم كانت اسرع للسير لانها لا تكون رهلة ولا مسترخية وقوله ذوابل بالتنوين للضرورة وهو خبر ثان او حال او صفة يسرات وان فصل بينهما بقوله وهي لاحقة لان الفصل بين الصفة والموصوف جائز نحو قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهذا اوفق بما بعده من الجملة فانها صفة لها ايضا والذوابل جمع ذابل وهي الرمح الصلب اليابس والمعنى على التشبيه والتقدير وتلك اليسرات كالذوابل اى كالرماح الصلبة اليابسة وقوله مسهن الارض تحليل وفي نسخة وقعهن بدل مسهن اى مس تلك اليسرات للارض او وقعهن على الارض شيء قليل غير مبالغ فيه لسرعة رفع قوائمها عن الارض فلا تمس الارض الا تحلة القسم كما يحلف الانسان ليفعلن هذا الشيء فيفعل منه اليسير ليتحلل به من القسم لكن هذا بحسب الاصل ثم كثر حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه وفي الحديث لايموت لاحد كم ثلاث من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فهو كناية عن القلة وقال جماعة من المفسرين الا تحلة يمين القسم حقيقة وليس كناية عن القلة والمعني ان النار لا تمسه الا بقدر ما يبر الله تعالى به قسمه لانه عز و جل يقول وان منكم الا واردها وفي هذا القول نظر لان هذه الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التي اجيب بها القسم من قوله تعالى فوربك لنحشرنهم الآية قال ابن هشام وفيه بعد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة

سمر العجايات يتركن الحصى زيما * لم يقهن رؤس الاكم تنعيل

تسرع فى السير بقوائمها والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها او ضامرة على ما تقدم كالرماح الصلبة الشديدة سريعة الرفع عن الارض كأنها لا تمس الارض الا تحلة القسم فهى فى غاية الاسراع فى سيرها (قوله سمر العجايات الخ) اى هى سمر العجايات الخ فهو خبر لمبتدا محذوف تقديره هى وهذا الضمير اعنى هى عائد على اليسرات ويصح ان يكون قوله سمر العجايات صفة لليسرات والاضافة فى سمر العجايات لفظية اى سمر عجاياتها فهى من اضافة الصفة لمعمولها والسمر جمع اسمر والسمرة لون يقرب من السواد ويصح ان تكون من اضافة المشبه به للمشبه اى عجاياتها كالسمر اى كالرماح السمر فى الشدة والصلابة فان السمر من اوصاف الرماح والعجايات جمع عجاية والعجاوات جمع عجاوة بضم العين وبالجيم فى الجميع وبالياء او الواو وهى الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرسن فشبه عصبها ولحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته وقوله يتركن الحصى زيما اى يجعلن الحصى متفرقا فيتركن بمعنى يجعلن ولذلك تعدى لمفعولين وهما الحصى زيما وقيل زيما حال من الحصى وزيما بكسر الزاى وفتح الياء كعنب المتفرق والجملة صفة يسرات فالضمير لهن ولشدة وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا واعلم ان فعلا بكسر اوله وفتح ثانيه كثير فى الاسماء كظلع واما فى الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صفة الا فى حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدا اه وقد ورد عليه الفاظ منها زيم كما فى هذا البيت ومنها قيما فى قراءة بعضهم دينا قيما ومنها سوى بكسر السين بمعنى مستو فى قوله تعالى مكانا سوى وقوله لم يقهن رؤس الاكم تنعيل اى لم يق تلك اليسرات رؤس الروابى المرتفعة من الارض شد النعل على خفها لانها صلبة شديدة فلا تحفى فى سيرها ولا ترق قدمها فلا تحتاج للتنعيل الذى يقيها رؤس الاكم وقد كانوا يشدون تحت خفافها قطعا من جلود لتقيها الحجارة فالضمير فى لم يقهن لليسرات والجملة صفة لهن ويق مضارع وقى من الوقاية وهى المحفوظ فى بعض الروايات لم يبقهن من الابقاء ورؤس الاكم قيل منصوب بنزع الخافض اى من رؤس الاكم والاصوب على رواية لم يقهن كونه مفعولا ثانيا اذ الوقاية تتعدى لمفعولين قال تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم والاكم بضم الهمزة وسكون الكاف مخفف اكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب واكام جمع اكم بفتحتين كجبل وجبال

كأن اوب ذراعيها اذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساقيل

والاكم بفتحتين جمع اكمة كثمر جمع ثمرة وهى الرابية المرتفعة من الارض والتنعيل
شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة وانما خص الاكم التى هى الروابى بالذكر
لانها تبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها لقلة سلوكها فاذا كانت لاتحتاج لتنعيل
لمثل ذلك فلغيره بالاولى وحاصل معنى البيت ان اعصاب قوائم هذه الناقة صلبة
شديدة كارماح السمر ولشدة وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا ولصلابة خفافها
لاتحتاج الى تنعيل يقيها الحجارة التى تكون فى رؤس الاكم فلا تحفى ولا ترق قدمها
بل هى صلبة شديدة (قوله كأن اوب ذراعيها الخ) اى كأن سرعة تقلب
يديها الخ فالاوب بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها باء موحدة سرعة التقلب
ويطلق على المكان والجهة يقال جاؤا من كل اوب اى من كل مكان وجهة
وخبر كأن قوله فى البيت الحادى والثلاثين ذراعا عيطل نصف الخ على تقدير
مضاف اى اوب ذراعى عيطل نصف فشبه سرعة تقلب يدى هذه الناقة فى
السير بسرعة تقلب يدى امرأة عيطل نصف اى طويلة متوسطة فى السن فى اللطم
على وجهها لشدة حزنها على ولدها ومن هذا ظهر ان فى البيت العيب المسمى
بالتضمين ان فسر بكون البيت مفتقرا الى ما بعده افتقارا لازما فان فسر بتعلق
قافية البيت الاول بأول البيت الثانى فليس فى البيت عيب وقوله اذا عرقت
اى وقت عرقها لا لتعب ولا لاعياء لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة بل لشدة
الحر وانما خص التشبيه بهذا الوقت لانها اذا كانت فى غاية الاسراع فى هذا الوقت
فما بالك بها فى غيره والعامل فى اذا ما فى كان من معنى التشبيه ولا جواب لها
ان قدرت خالية عن معنى الشرط والا فالجواب مقدر وهل هى حينئذ منصوبة
بفعل الشرط او جوابه فيه خلاف مذكور فى كتب النحو وقوله وقد تلفع بالقور
العساقيل اى والحال انه قد تلفع بالقور العساقيل فالواو للحال وتلفع بفتح
التاء المثناة من فوق وفتح اللام والفاء المشددة وبالعين المهملة فعل ماض معناه
التحف واشتمل وهو من اللفاع كتلحف من اللحاف وتنقب من النقاب قال
الشاعر لم تتلفع بفضل مئزرها * دعد ولم تسق دعد فى العلب
والقور بضم القاف بعدها واو وفى آخره راء مهملة جمع قارة وهى الجبل الصغير
والعساقيل بفتح العين والسين المهملتين وبعدهما ألف وكسر القاف بعدها
ياء وفى آخره لام له معنيان احدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهرى لم أسمع

بواحده وثانيهما نوع من الكمأة وهي الكبار البيض التي يقال لها شحمة الارض وواحده عقول وقد تحذف منه الياء للضرورة كما في قوله

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

كما انها قد تزاد للضرورة كما في قوله

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة * نفي الدنانير تنقاد الصياريف

فالصياريف اصله الصيارف جمع صيرف وزيدت الياء للضرورة واما الدراهيم فجمع درهام لغة في الدرهم ولا يخفى ان القور التي هي الجبال الصغار هي التي تتلفع بالعساقيل المراد به هنا السراب بمعنى انه يرى عليها كاللفاع الساتر لها فوقع القلب في كلامه كما تقول ادخلت القلنسوة في رأسي وعرضت الحوض على الناقة والمراد ادخلت رأسي في القلنسوة وعرضت الناقة على الحوض وقد اختلف في القلب فمن النحويين من خصه بالضرورة ومنهم من اجازه في النثر ومن البيانيين من قبله في الكلام الفصيح مطلقا ومنهم من رده مطلقا ومنهم من فصل فقال ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل والا فلا واشار المصنف بذلك الى شدة الحر لان قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع للجبال الصغيرة لا تكون الا في وقت شدة الحر واذا كانت في غاية الاسراع في هذا الوقت كانت في غيره اولى بالاسراع وحاصل معنى البيت ان سرعة حركة يدي هذه الناقة في السير كسرعة حركة يدي المرأة الطويلة المتوسطة في السن في اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها فتكون في غاية الاسراع في وقت عرقها لشدة الحر وفي قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع على الجبال الصغار (قوله يوما يظل به الحرباء الخ) اي ان القور التي هي الجبال الصغار تلفعت بالسراب في يوم يظل فيه الحرباء محترقا بالشمس فيوما ظرف لقوله تلفع وهو اولى من تعلقه بأدب او بما في كأن من معنى التشبيه لانه فعل وهو اقوى في العمل ولانه اقرب من غيره ويظل بفتح الظاء المعجمة مضارع ظل يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا ويكون بمعنى صار كما في قوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو المراد هنا فيظل بمعنى يصير وبه اي في ذلك اليوم فالباء بمعنى في والضمير عائد لليوم والحرباء بكسر الحاء حيوان يرى له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون الوانا بحر الشمس ويكون في الظل اخضر ويكنى ابا قرة وكنيته

يوما يظل به الحرباء مصطخدا * كأن ضاحيه بالشمس محلول

انثاه

انثاه ام حنين ويصير وقت الهاجرة فى اعلى الشجر وبه يضرب المثل لانه يمسك ساق الشجر فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر كما قال القائل

لا يشغلنك شئ فى زمانك عن * حب الملاح وحاذر كلما عاقا
وكن كانك حرباء الهجير ضحى * لا يترك الساق الا ممسكا ساقا

ومصطخدا بكسر الخاء المعجمة وبالدال فى آخره اى محترقا بحر الشمس يقال اصطخد اذا اصطلى بحر الشمس وروى مصطخما بالميم فى اخره اى منتصبا قائما يقال اصطخم اذا انتصب قائما ويقال اصطخب بالباء بمعنى صاح كما فى قوله

ان الضفادع فى الغدران تصطخب * وصحف الاصمعى بيت ذى الرمة وهو قوله
فيها الضفادع والحيتان تصطخب * فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له ابو

على الاصبهانى اى صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هى تصطحب بالمهملة اى تتجاور ووهم عبد اللطيف حيث قال والمصطخد منصوب لانه خبر اضحى ووجه الوهم انه ليس فى البيت اضحى وانما هو يظل والجملة صفة ليوما وقوله كان ضاحيه بالشمس مملول اى كان الحيوان الضاحى فى ذلك اليوم بمعنى البارز للشمس فيه او كان الضاحى من الحرباء بمعنى البارز للشمس منه خبز معمول بالملة بفتح الميم قد انضجته النار بشدة حرها فالضاحى بمعنى البارز للشمس كما تقدم ورأى ابن عمر رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن احرمت واضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كما ذكره الاصمعى وغيره وهو الصواب لانه من ضحى وان رواه المحدثون بفتح الهمزة وكسر الحاء قال الرياشى رأيت احمد بن المعذل بالذال المعجمة فى الموقف وقد ضحى للشمس وهى شديدة الحر فقلت له هذا امر قد اختلف فيه فلو اخذت بالتوسعة فأنشد

ضحيت له كى استظل بظله * اذا الظل اضحى فى القيامة قالصا
فوا اسفى ان كان سعيى باطلا * ووا حزنى ان كان حجى ناقصا

وقد وهم عبد اللطيف حيث جعل القائل اضح لمن احرمت له النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن عمر والضمير فى ضاحيه عائد لليوم او للحرباء والاضافة بمعنى فى على الاول وبمعنى من على الثانى ومملول اسم مفعول من مللت الخبز بفتح الميم اوله بضمها من باب رد يرد اذا عملته فى الملة بفتح الميم كما علمت وهى الرماد الحار عند الاكثرين وقال ابو عبيدة هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم اطعمها ملة والصواب خبز ملة واما الملة بكسر الميم فالدين والشريعة ويقال من

الملل بمعنى السآمة ملت بالكسر امل بالفتح مللا وملالا وملالة وملة بالفتح فالملة بالفتح مشتركة وحاصل معنى البيت ان الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس كان البارز للشمس فى ذلك اليوم او من ذلك الحيوان خبز معمول بالملة بفتح الميم وقد علمت تفسيرها (قوله وقال للقوم الخ) اى وقد قال للقوم الخ فهو معطوف على تلفع الواقع حالا فيكون حالا ايضا وقوله حاديهم اى سائق ابلهم بالحداء وهو الغناء تنشيطا للابل على السير وهو فاعل قال ومقول القول قوله فى آخر البيت قيلوا والمراد ان الحادى الذى من شأنه ان ينشط الابل على السير قال للقوم الذين هم اصحاب الابل قيلوا من شدة الحر اشفاقا على الابل وقوله وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى اى والحال انه قد اخذت وشرعت الورق من الجنادب او الجنادب الورق يركضن الحصى بأرجلهن من شدة الحر فلا يمكنهن التمكن عليه لكونه محمى بالحر ولا الطيران عنه لاعيائهن بتأثير الحر فيهن فالواو للحال وقد للتحقيق وجعلت بمعنى اخذت وشرعت والاضافة فى ورق الجنادب على معنى من او من اضافة الصفة للموصوف والورق بضم الواو جمع اورق كحمر جمع احمر والاورق هو الاخضر الذى يضرب الى السواد وقيل الورقة لون يشبه لون الرماد والجنادب جمع جندب بضم الدال وقد تفتح وهو ضرب من الجراد وقيل هو الجراد الصغير وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ومعنى يركضن الحصى يحركن الحصى بأرجلهن لقصد النزول بسبب الاعياء عن الطيران من شدة الحر فالركض التحريك بالرجل ومنه ركض الدابة اى تحريكها فى جنبيها برجليه لتسير ثم كثر حتى جعل بمعنى حملها على السير مطلقا ومن الاصل قوله تعالى اركض برجلك وقوله قيلوا أمر من قال يقيل قيلولة وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر وان لم يكن نوم ومنه قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا فالمعنى هنا استريحوا فى وقت شدة الحر وحاصل معنى البيت ان هذا اليوم من شدة حره كان الحادى الذى من شأنه ان ينشط الابل على السير قال للقوم والحال انه قد جعلت ورق الجنادب يحركن الحصى بأرجلهن قيلوا من شدة الحر فى القفار الموحشة البعيدة من الماء لان ورق الجنادب لا تكون الا فى تلك الاماكن فتكون هذه الناقة مع سيرها فى الحر الشديد لها صبر على العطش فى القفار الموحشة مع

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا

شد النهار ذراعا عيطل نصف * قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها * لما نعى بكرها الناعون معقول

ضعف غيرها (قوله شد النهار الخ) اى كان ذلك وقت ارتفاع النهار فشد بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة المفتوحة بمعنى الارتفاع فهو مصدر جعل ظرفا على تقدير مضاف وهو وقت يقال جئتك شد النهار اى وقت ارتفاعه وهو مبالغة فى شدة الحر وهو اما ظرف لاوب او لقيلوا او بدل من يوما فى قوله يوما يظل به الحرباء الخ وقوله ذراعا عيطل نصف خبر كأن فى قوله كأن اوب ذراعيها الخ على تقدير مضاف كما قدمناه اى كان اوب ذراعى هذه الناقة فى هذه الحالات اوب ذراعى امرأة طويلة فى السن بين الشابة والكهلة وما احسن قول الحماسى

لا تنكحن عجوزا ان دعيت لها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان اتوك وقالوا انها نصف * فان امثل نصفيها الذى ذهبا

وانما وصفها بالطول فى قوله عيطل وبالتوسط فى السن فى قوله نصف لان الطويلة تكون اطول ذراعا والمتوسطة فى السن تكون فى حين استكمال قوتها وبلوغ اشدها وحينئذ تكون اسرع فى الحركة وامكن فى القوة وقوله قامت اى تلك العيطل النصف تلطم وجهها لشدة حزنها على ولدها وقوله فجاوبها نكد مثاكيل اى فتسبب عن قيامها للطم انه جاوبها فى اللطم نسوة لا يعيش اولادهن ويفقدن اولادهن كثيرا فالفاء للسببية والنكد بضم النون وسكون الكاف وبالدال المهملة جمع نكداء كحمر جمع حمراء وهى التى لا يعيش لها ولد والمثاكيل بفتح الميم وبعد الثاء المثلثة الف ثم كاف مكسورة بعدها ياء ثم لام جمع مثكال بكسر الميم وسكون المثلثة وبعد الكاف الف ثم لام وهى كثيرة الثكل بوزن قفل وبفتحتين وهو فقدان المرأة ولدها كما فى المختار وحاصل معنى البيت ان ذلك كان وقت ارتفاع النهار وهو مبالغة فى شدة الحر وسرعة حركة ذراعى هذه الناقة كسرعة حركة ذراعى امرأة طويلة متوسطة فى العمر قامت تلطم وجهها لحزنها على ولدها فجاوبها نسوة لا يعيش اولادهن ويفقدن اولادهن كثيرا فيشتد فعلها ويقوى ترجيع يديها عند النياحة لرؤية حزن غيرها على اولادهن وشدة لطمهن (قوله نواحة الخ) اى هى نواحة الخ فنواحة بالرفع خبر مبتدا محذوف تقديره هى ويصح ان يكون بالجر على انه صفة لعيطل وبالنصب على انه مفعول لفعل محذوف تقديره اعنى ولا يحسن تقديره امدح لانه غير مناسب للمقام والنواحة بفتح النون وتشديد الواو بعدها الف ثم حاء مهملة وفى آخره

تاء التأنيث كثيرة النوح على ميتها فنواحة صيغة مبالغة تقتضي كثرة النوح وقوله رخوة الضبعين اي مسترخية العضدين فتكون اسرع حركة من غيرها فرخوة بكسر الراء وسكون الخاء المعجمة وفتح الواو وفي آخره تاء التأنيث بمعنى مسترخية ومعنى الضبعين بسكون الباء العضدان وهو مثنى ضبع بسكون الباء وهو العضد وجمعه اضباع على غير قياس كفرخ وافراخ واما الضبع بضم الباء فهو الحيوان المعروف وجمعه ضباع كسبع وسباع وقوله ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول اي ليس لتلك المرأة حين اخبرها الناعون بموت اول اولادها عقل لان اول اولادها اعز عليها من غيره وقد نعاه لها المخبرون بموته النادبون له ولم تمرضه فتسلى بتمريضه فهي مع استرخائها وسرعة حركة يديها وكثرة نياحتها ليس لها من العقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها ولا تحس بالاعياء والتعب فكانت نياحتها حينئذ اشد وكذلك هذه الناقة في سيرها ويؤكد ذلك قوله في البيت السادس والعشرين وهي لاهية على احدى الروايتين كما تقدم هناك فالضمير في لها يعود على المرأة الموصوفة بالصفات المذكورة ولما بمعنى حين فهي ظرف كما ذهب اليه الفارسي وقيل حرف وجود لوجود ونعى بمعنى اخبر بالموت يقال نعى ينعى نعيا مثل سعى يسعى سعيا اذا اخبر بالموت فالنعي بسكون العين خبر الموت ومثله النعي بكسر العين وتشديد الياء يقال جاء نعي فلان ونعيه اي خبر موته كما في المختار وبكرها بكسر الباء وسكون الكاف هو اول اولادها ذكرا كان او انثى واما البكر بفتح الباء فهو الفتي من الابل والانثى بكرة والناعون هم المخبرون بالموت النادبون له وهو جمع ناع كعافون جمع عاف ويكسر على نعاة كقضاة قال جرير نعى النعاة امير المؤمنين لنا * يا خير من حج بيت الله واعتمرا والمعقول هنا بمعنى العقل فهو احد المصادر التي جاءت على مفعول كمعسور وميسور ومفتون قال الله تعالى بأيكم المفتون اي الفتنة وحاصل معنى البيت ان هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها مسترخية العضدين فيداها سريعتان في الحركة ولما اخبرها الناعون بموت اول اولادها لم يبق لها عقل فلا تحس بالاعياء والتعب فكذلك هذه الناقة لا تحس باعياء ولا تعب في سيرها (**قوله تفري اللبان الخ**) اي تقطع تلك المرأة صدرها بأنامل اصابع كفيها فلذهاب عقلها صارت تقطع صدرها بأناملها فالجملة صفة اخرى للمرأة الموصوفة بتلك الصفات وتفري بفتح التاء من فرى يفري بفتحها

تفري اللبان بكفيها ومدرعها * مشقق عن تراقيها رعابيل

من افرى يفري يقال فريته وافريته بمعنى واحد كما في القاموس وقال الكسائي
افريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح
فمعناهما مختلف واللبان بفتح اللام وهو الصدر وال فيه نائبة عن الضمير والاصل
لبانها اى صدرها وبكفيها متعلق بتفري وهو على تقدير مضافين والاصل بانامل
اصابع كفيها فاندفع ما اورد عليه من ان الفري بانامل الاصابع لا بالكفين
وقوله ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل اى والحال ان قميصها مشقوق كثيرا
عن عظام صدرها قطع كثيرة فالمدرع بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء وبالعين
هو القميص وكذلك الدرع وهو مذكر كالقميص واما درع الحديد فمؤنثة
كالحلقة والمشقق المشقوق كثيرا وعن تراقيها متعلق بمشقق والتراقي جمع ترقوة
بفتح التاء على وزن فعلوة وهي عظام الصدر التي تقع عليها القلادة والرعابيل
كعصافير القطع جمع رعبول كعصفور وهو القطعة من الشيء ومنه رعبلت اللحم
اذا قطعته وجزأته ولا يخفى ان قوله مشقق خبر اول ورعابيل خبر ثان ويصح ان
يكون صفة لمشقق وحاصل معنى البيت ان هذه المراة تقطع صدرها بانامها
لذهاب عقلها وقميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطع كثيرة فلما كانت
هذه المرأة مسلوبة العقل صارت لا تحس بما تلاقي من الالم في بدنها وما تفسده
من ثيابها والمراد من تشبيه الناقة بهذه المرأة في الحالة المذكورة ان الناقة
صارت مسلوبة الادراك فلا تحس بما تلاقي من مشاق السير وهذا آخر ما ذكره
الناظم من اوصاف الناقة والله اعلم (قوله تسعى الوشاة الخ) هذا شروع
في القسم الرابع من اقسام الغزل وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببهما كما
تقدم وتسعى مضارع سعى بمعنى وشى يقال سعى به الى السلطان اذا وشى او مضارع
سعى اذا اسرع في سيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم الصلاة فلا تأتوها
وانتم تسعون اى وانتم تسرعون في سيركم او مضارع سعى اليه اذا اتاه ومنه قوله
تعالى فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كغزاة جمع غاز وهم الذين يوشون
بين المحب والمحبوب ليفسدوا بينهما سموا وشاة لانهم يشون الحديث اى يزينونه
ويحسنونه اخذ من الوشي الذي هو تزيين الثياب وتحسينها وقوله جنابيها اى
جنابي سعاد المتقدم ذكرها والجنابان تثنية جناب بفتح الجيم وهو فناء الشيء
بكسر الفاء وما قرب من محلة القوم ويروى والهابدل جنابيها وهو جمع حول

تسعى الوشاة جنابيها وقولهم * انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

بمعنى جهة فالمعنى تسعى الوشاة فى جهاتها بالافساد بينه و بينها وتنفيرها عنه وهذا قد ابتلى به كثير من المحبين فمن يحبونه فقل ان يظفر الانسان بمن يحبه الا حسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه عنه وان كان الصادق فى المحبة لا يصرف قلبه عمن يحبه اعراض ولا صدود ولم تزل الناس قديما وحديثا على ذم الوشاة والتحذير منهم ولله در القائل

محندى لكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
اشوى كبود الحاسدين بها والسنة الوشاة واعين الرقباء

وقال بعضهم لا تسمعن من الحسود مقالة * لو كان حقا ما يقول الواشى

وقد ورد الكتاب والسنة بذم السعاية والمشى بالنميمة وافساد ما بين الاحبة قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وانما سماه الله تعالى فاسقا لانه نمام ومشى فى السعاية خرج عن ان يكون ثقة ولذلك عتب انسان على شخص فى كلام نقل عنه فقال من اخبرك به قال الثقة قال لو كان ثقة ما نم وقد ذمه الله تعالى ونهى عن طاعته بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم ووعده بالويل فى قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال صلى الله عليه وسلم ابغضكم الى المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وهذا مرض قد ابتلى به كثير من الناس فيصير فيه طبعا مركبا وغريزة ثابتة فلا يستطيع ان يسمع حديثا الا نقله ولا مجلسا الا حكاه كما قيل تراه يلتقط الاخبار مجتهدا * حتى اذا ما وعاها زرق ما التقطا ووشى واش برجل الى ذى القرنين فقال ان شئت سمعنا منك ما تقول فيه على ان نسمع منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك فقال العفو ولا اعود وقد جرت العادة بان من قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك اليك نقل حديثك الى غيرك وقوله وقولهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول عطف على قوله تسعى الوشاة الخ من قبيل عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فالواو للعطف وجعلها بعضهم واو الحال وقولهم باشباع الميم ويروى وقيلهم باشباع الميم ايضا والقيل مصدر كالقول يقال قال قولا وقيلا ومقالا ومقالة وعلى كل فهو مبتدا خبره جملة قوله انك لمقتول وهى عين المبتدا فى المعنى فلا تحتاج الى رابط وجملة النداء اعتراضية بين اسم ان وخبرها والمراد من ابن ابى سلمى كعب بن زهير بن ابى سلمى فقد نسبوه لجده الذى هو ابو سلمى كما

في قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى بضم
السين على وزن حبلى قال علماء الحديث وليس في العرب سلمى بضم السين غيره
واللام من لمقتول لام الابتداء وفائدتها زيادة التاكيد ومعنى مقتول متوعد
بالقتل لانه صلى الله عليه وسلم امر بقتله واهدر دمه حيث قال من لقى كعبا
فليقتله وغرضهم بذلك ارجافه وتخويفه وتضييق سبيل النجاة عليه فقد انتقل
من ذكر سعى الوشاة بينه وبينها الى ذكر تخويفهم له بالقتل الذى اوعده به النبى
صلى الله عليه وسلم حين اهدر دمه قبل اسلامه والحاصل ان امر الوشاة معه يرجع
الى مقصدين الاول سعيهم بينه وبينها لتنفيرها عنه وهو المعنى بقوله تسعى الوشاة
جنابيها او حواليها الثانى ارجافهم له وتخويفهم اياه واظهار الشماتة به وهو المعنى
بقوله وقولهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول فلم يكف كعبا ما لاقاه من صد محبوبته
وبعدها عنه بحيث صارت الى ارض لا يبلغها الا الناقة التى وصفها بالصفات
السابقة بل تضاعف غمه وكثر همه لكون الوشاة يسعون بينه وبينها ويبعدون
عنه وصلها ويخوفونه بالقتل ويشمتون به (**قوله وقال كل خليل الخ**) عطف على
قوله وقولهم انك الخ فهو من عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية لانها ترجع
فى المعنى الى الفعلية فالتقدير وقالوا انك الخ وقال كل خليل الخ فلما سمع الوعيد
من الوشاة جاء لاخلائه الذين كان يأملهم للشدائد ويستجير بهم فقالوا له ما ذكر
يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ان آووه
ونصروه لانه صلى الله عليه وسلم اهدر دمه واذن فى قتله لكل من لقيه ولفظة
كل هنا للمبالغة كما فى قولهم اعرض كل الناس عن فلان والخليل من الخلة
بالضم وهى صفاء المودة ويكون من الخلة بالفتح وهى الحاجة كما فى قول زهير
وان آتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالى ولا حرم واما الخلة بالكسر
فهى النبت المعروف ومقام الخليل مقام قبول محض ولذلك قال ابن الفارض
اخلاى انتم احسن الدهر ام اسى * فكونوا كما شئتم فانى انا الخل وجملة قوله
كنت آمله صفة لخليل فهى فى محل جر او صفة لكل فهى فى موضع رفع والاول
اولى لان لفظة كل انما تدخل لافادة العموم فالمسند اليه فى الحقيقة مخفوضها
والمراد كنت آمل خيره وارتجى اعانته لى فى المهمات لان الذوات لا تؤمل
وجملة قوله لا الهينك بلا النافية وفى رواية لالهينك بلام القسم فى محل نصب

وقال كل خليل كنت آمله * لا الهينك انى عنك مشغول *

مقول القول والتوكيد على الرواية الاولى ضرورة بخلافه على الرواية الثانية فانه
مقيس والمعنى على الرواية الاولى لا اشغلنك عما انت فيه من الخوف والفزع بأن
اسهله عليك واسليك فاعمل لنفسك فانى لا اغنى عنك شيئا وعلى الرواية الثانية
والله لا جعلنك مشغولا عنى فلا تطلب منى نصرة ولا معونة والهينك بضم الهمزة من
الهى بمعنى شغل قال تعالى الهاكم التكاثر اى شغلكم وجملة قوله انى عنك مشغول
فى موضع التعليل لما قبله فان كان التعليل على طريق الاستئناف فان مكسورة
الهمزة وان كان على اضمار لام التعليل فان مفتوحة الهمزة اى لانى مشغول
عنك بامور نفسى فلا تطلب منى نصرة ولا معونة وعنك جار ومجرور متعلق
بمشغول وحاصل معنى البيت ان كل صديق كان يرجوه لشدائده ويخبأه لوقت
مصائبه قال له لا اشغلنك عما انت فيه او لا جعلنك مشغولا عنى على الروايتين
السابقتين لانى مشغول عنك بامور نفسى والمشغول لا يشغل (قوله فقلت خلوا
سبيلى الخ) اى فقلت للاخلاء اتركوا طريقى لاذهب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم واتمثل بين يديه فخلوا بمعنى اتركوا لانه فعل أمر من التخلية بمعنى الترك
والسبيل كالطريق وزنا ومعنى فلما أيس من نصرة أخلائه وتحقق انهم لا يغنون
عنه شيأ امرهم ان يخلوا طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويتمثل بين يديه لانه تحقق انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاء اليه تائبا
ولا يطالب بما كان قبل الاسلام فان اخاه قد كتب اليه كتابا يخبره بذلك كما تقدم
ذكره وكان ذلك قد شاع عنه صلى الله عليه وسلم فى قبائل العرب فأدركته العناية
الالهية لينال السعادة الابدية وشرح الله صدره للاسلام وهداه الى الصراط
المستقيم وقوله لا ابا لكم باشباع الميم ذم لهم لكونهم لم يغنوا عنه شيأ ووجه كون
ذلك ذما انه كناية عن الخسة لان نفى النسب وجهله يستلزم خسة المنفى عنه
او مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء ووجه كون ذلك مدحا انه كناية عن عدم
النظير لانه لو كان له أب لكان له نظير عادة وهو اخوه فكلمة لا ابا لكم تستعمل
للمدح والذم ثم ان لا نافية للجنس وابا اسمها منصوب بالالف لكونه مضافا للكاف
واللام زائدة لتاكيد معنى الاضافة فهى مقحمة بين المتضايفين وبحث فى ذلك
بانه اذا كان مضاف للكاف تعرف بالاضافة فلا تعمل فيه لا لكونها لا تعمل
الا فى النكرات واجيب بأن زيادة اللام بين المتضايفين جعلت الاضافة كالعدم

وقلت خلوا سبيلى لا ابا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول

وقيل

* كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

وقيل ان اللام اصلية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للاب وانما لم ينون حملا
للشبيه بالمضاف على المضاف وعلى كل من هذين القولين فالخبر محذوف وقيل
ان الجار والمجرور هو الخبر وعلى هذا فاسم لا مفرد مبني ولكنه جاء على لغة من يقول
ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها وقوله فكل ما قدر الرحمن مفعول اى
لان كل شئ قدره الرحمن من حيات او موت او غيرهما مفعول لا محالة فالفاء للتعليل
وما نكرة موصوفة بمعنى شئ والجملة بعدها صفة ومفعول خبر كل فتيقن ان ما قدره
الله لها او عليه لا بد ان يستوفيه لا محيد عنه ولا براح له عن استيفائه توفيقا
لمذهب اهل الحق ومنهج الصدق قال تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر وقال تعالى
وكان امر الله قدرا مقدورا وقد اخرج ابو داود من حديث عبادة بن الصامت انه
قال لابنه يا بني انك لا تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما اصابك لم يكن
ليخطئك وما اخطأك لم يكن ليصيبك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اول ما خلق الله القلم قال اكتب قال يارب وما اكتب قال اكتب
مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس مني وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف
سنة والحاصل ان كعبا ادركته العناية الالهية من وجهين الاول قوة عزمه على
لقاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسير اليه كما يشير اليه قوله فقلت خلوا سبيلي
لا ابا لكم والثاني ركونه الى القدر واعترافه بوقوعه لا محالة كما اشار الى ذلك بقوله
فكل ما قدر الرحمن مفعول (قوله كل ابن انثى الخ) كل مبتدأ خبره محمول
وابن مضاف اليه والمراد بالابن ما يشمل البنت وان كان لفظ الابن لا يقع
في اللغة الا على الذكر واقتصر على نسبته للانثى لان لحوقه بها قطعي بخلاف لحوقه
بالرجل فانه ظني ولان بعض الافراد لا اب له كعيسى عليه السلام وقوله وان
طالت سلامته عطف على محذوف والتقدير ان قصرت سلامته وان طالت
والجملتان في محل نصب على الحالية من ضمير محمول اى مستويا قصر سلامته
وطولها لان الجملة الشرطية يجوز ان تقع حالا اذا اشترط فيها الشئ ونقيضه نحو
لأضربنه ان ذهب وان مكث والذي سوغ حذف الجملة الاولى التي هي ان قصرت
انه اذا ثبت الحكم على تقدير طول سلامته فثبوته على تقدير قصر سلامته من

انبئت ان رسول الله اوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول

باب اولى على حد زيد وان كثر ماله بخيل وان وصلية فلا جواب لها وقيل الجواب
محذوف لدلالة خبر المبتدأ عليه أي ان قصرت سلامته وان طالت فهو محمول على
حدّ قوله تعالى وانا ان شاء الله لمهتدون ويوما ظرف لمحمول مقدم عليه أي محمول
في يوم وليس متعلقا بطالت لفساد المعنى عليه وعلى آلة جار ومجرور متعلق
بمحمول وحدباء من معانيها الضيقة ومن معانيها ايضا المرتفعة ومنه الحدب
من الارض أي المرتفع منها والمراد بالآلة الحدباء هنا النعش سمي بذلك لضيقه
اولارتفاعه على القولين المذكورين في معنى الحدباء وقيل لصعوبة سبب مرتقاه
وهو الموت وقيل اخذا من قولهم ناقة حدباء اذا بدت حوانبها لان النعش كذلك
والظاهر انه سمي بذلك تشبيها بالرجل الاحدب لان العرب لم تكن تعرف
الاسرة المعمولة من الخشب وانما كانوا يأخذون عصيا يربطونها تربيعا
مستطيلا وينسجون وسطها بالحبال ثم يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي
على ذلك الى الآن وهذه الآلة اذا وضع عليها الميت وثقل على الحبال برزن عن
العصي من جهة السفل فأشبهت الرجل الاحدب في بروز ظهره وما احسن قول
الشاطبي ملغزا في النعش

اتعرف شيأ في السماء يطير * اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل امير يعتليه اسير
يحض على التقوى ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر في رغبة عن زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

وحاصل معنى البيت ان كل مولود وان طالت سلامته من العوارض والآفات
فلابد من وروده حياض الموت وحمله الى الرمس وهو تراب القبر فالموت لا مخلص
منه بالفرار ولا امتناع منه بالتحصن فلم الجزع يا صاحب الفزع وبم تفرحون
ايها الشامتون ولله در من قال

وقل للشامتين بنا افيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

(قوله انبئت ان رسول الله الخ) وروى نبئت ان رسول الله الخ وهو بمعناه وكل من
انبئت ونبئت بصيغة المجهول ونائب الفاعل مفعول اول وان ومعمولاها سدت
مسد الثاني والثالث لان كلا من انبأ ونبأ يطلب ثلاثة مفاعيل وترك ذكر الفاعل
لانه لا يتعلق بتعيينه غرض ولان مقام الاستعطاف يناسبه تعريض الخبر بالوعيد

كان

كان يقول روى كذا لا تحقيقه وقوله اوعدني اى بالقتل وقد تقدم ان اوعد
في الشر ووعد في الخير ولذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يا من اذا وعد وفى
واذا اوعد عفى وقوله والعفو عند رسول الله مأمول اى والحال ان العفو والصفح
مرجو ومطموع فيه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اعاد ذكر رسول
رسول الله لاظهار التعظيم وللاشعار بالتفخيم فني ذكر صريح اسمه ما ليس
في ضميره من التعظيم والتفخيم ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة وهو مستجلب
للعفو ومقتض للرضاء وروى انه صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال
العفو عند الله مأمول اشارة الى ان اصل العفو الذي عنده من عند الله فهو
الاصل وجميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة الاستعطاف
واسترضاؤه عليه الصلاة والسلام واستجلاب اخلاقه الكرام وكان صلى الله
عليه وسلم من ابعد الناس غضبا واسرعهم رضاء والاحاديث بحلمه صلى الله عليه
وسلم واردة والاخبار والآثار بعفوه وصفحه متواترة ففي حديث عائشة وما انتقم
رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لذلك
وجيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل فقيل له هذا اراد ان يقتلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك لم تسلط علي وتعدى له صلى
الله عليه وسلم غورث بن الحارث في بعض الغزوات وهو صلى الله عليه وسلم منتبذ
تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
بالسيف في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه
صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فجاء
الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وجاء زيد بن شعبة قبل اسلامه يتقاضاه
صلى الله عليه وسلم دينا كان عليه فجذ ثوبه عن منكبيه واخذ بمجامع ثيابه
واغلظ عليه القول ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له
في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا كنا الى
غير هذا احوج منه تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال النبي
صلى الله عليه وسلم بقي من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه من ماله ويزيده عشرين
صاعا لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة
والاخبار المتواترة وقد تقرر ان العفو والصفح من اخلاق رسول الله صلى الله عليه

فقد أتيت رسول الله معتذرا * والعذر عند رسول الله مقبول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القـ * ـرآن فيها مواعيظ وتفصيل

وسلم فالتخلق بخلقه والتمسك بسنته امر مندوب اليه ومرغب فيه تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وقد امر الله تعالى بالعفو والصفح فى قوله وليعفوا وليصفحوا وقال عز وجل فمن عفى واصلح فأجره على الله فينبغى للانسان العفو والصفح خصوصا عن صديقه فان الهفوات قد تعرض فى المودات المستقيمة كما تعرض الامراض للاجسام السليمة وقد قال بعض الحكماء لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه ولله در القائل حيث يقول

اقل ذا الودّ عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمه

ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمه

وبالجملة فالناس لا يسلمون من الهفوات ولذلك قيل من رام سليما من هفوة فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه (قوله فقد اتيت رسول الله الخ) عطف على انبئت الخ أى فقد جئت رسول الله حال كونى معتذرا له والحال ان العذر عند رسول الله مقبول فالواو للحال قال بعضهم والعذر عند خيار الناس مقبول * واللطف من شيم السادات مأمول وهذا البيت اعنى قوله فقد اتيت رسول الله الخ غير موجود فى اكثر النسخ ولذلك لم يكتب عليه اكثر الشراح (قوله مهلا هداك الخ) هذا البيت وما بعده تتميم للاستعطاف وقد التفت عن الغيبة فى البيت السابق الى الخطاب فى هذا البيت واصل مهلا امهل على امهالا فهو مصدر نائب عن فعله وحذف زائداه وهما الهمزة والالف ومعنى هداك زادك هدى فاقتضى ذلك هدى سابقا وهدى لاحقا وقيل المراد هداك الله للصفح والعفو عنى فيكون فى الحقيقة دعاء للنفسه وعلى كل فالجملة خبرية لفظا انشائية معنى وهو ابلغ من صيغة الطلب وقوله الذى اعطاك نافلة القرآن أى الله الذى انزل عليك نافلة هى القرآن فالاضافة للبيان وسماه نافلة لانه زائد على العلوم النبوية التى اعطاه اياها وجعل القرآن زيادة له على تلك العلوم اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ولذلك قيل لما زاد على الفرائض من العبادات نافلة قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وفى ذلك اعتراف بانزال القرآن من عند الله وانه ليس شعرا ولا كهانة كما زعم كفار قريش وهذا من تمام الاسلام الذى يحقن الدم ويصون عن القتل وقوله فيه أى فى القرآن وفى نسخة فيها أى فى النافلة وقوله مواعيظ وفى نسخة مواعيد وكلاهما بالتنوين للضرورة

وقوله

وقوله وتفصيل بالصاد المهملة أي تبيين ما يحتاج اليه من امر المعاش والمعاد واحكام الاصول والفروع للعباد والجملة صفة للقرآن او لنافلة القرآن او مبتدأ نفقة كأنه قيل مافيه او مافيها فقال فيه او فيها مواعيظ وتفصيل وفي ذلك تذكير بما جاء في التنزيل كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين روى انه لما نزلت هذه الآية سأل صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام عنها فقال لا ادري حتى اسأل فمضى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك (قوله لا تأخذني بأقوال الوشاة الخ) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف في القول فلا وان كانت ناهية بحسب وضعها لكن المراد منها التضرع والتذلل والمعنى لا تستجرمني بسبب اقوال الوشاة الساعين بيني وبينك بالافساد والكذب والبهتان فتعبيره عنهم بالوشاة بضم الواو والذين هم جمع واش وقد تقدم انه هو الذي يسعى بين المحب ومحبوبه بالافساد اشارة الى كذبهم وتعريضا لذمهم اذ السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا بالزور والبهتان امر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقوله ولم اذنب أي والحال اني لم اذنب ذنبا اكون مؤاخذا به لان الله هداني للايمان والايمان يجب ما قبله من الذنب اولم اذنب الذنب الذي قيل عني كله وغرضه بذلك التبري من الذنب والتنصل منه لان عدم الاعتراف بالذنب يدل على الرهبة والخوف من ظهوره فانه اذا ظهر عظم خطره وكدر الخواطر ذكره فيأخذ المسيء في ستر الذنب والتنصل منه والاعتذار عنه ويظهر الخوف من الاطلاع عليه وحينئذ فيجب قبول عذره والاغضاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر اساءته حتى تبين خجالته ولذلك لم يوبخ النبي صلى الله عليه وسلم كعبا رضي الله عنه وما احسن قول القائل

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا * ان برعندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره * وقد اجلك من يعصيك مستترا

وبعضهم يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه بظاهر التوبة ولا يكلف عذرا فيلجأ الى الكذب وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاذير فان اكثرها مفاجر وانظر الى كرم الاخلاق من يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال له اخوته تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين اذ كان جوابه لهم لا تثريب عليكم

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم * اذنب وان كثرت فيّ الاقاويل *

اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولله در القائل حيث يقول

العذر يلحقه التحريف والكذب * وليس في غير ما يرضيك لي ارب

وقد اسات فبالنعما التي سلفت * الا مننت بعفو ماله سبب

وقوله وان كثرت في الاقاويل عطف على محذوف اي ان لم تكثر في شأني الاقاويل وان كثرت فالمعنى على كل حال والاقاويل جمع اقوال وهي جمع قول فهي جمع الجمع والمراد منها الاكاذيب وحاصل معنى البيت لا تستبح دمي ولا تعاتبني في جرمي بسبب اقوال الوشاة عني والحال اني لم اذنب ذنبا يقتضي المؤاخذة بعد ان هداني الله للايمان اولم اذنب الذنب الذي قيل على كل وان كثرت في شأني الاكاذيب من القول (قوله لقد اقوم مقاما الخ) اي والله لقد اقوم مقاما الخ فهو جواب قسم محذوف على حد قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ويروى اني اقوم مقاما الخ والرواية الاولى هي المشهورة وهي ابلغ في المعنى لتأكيدها بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم ظرف مكان والمراد به مجلس النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بالقيام فيه حضوره والمعنى على المضي اي لقد حضرت وقوله لو يقوم به اي لو يحضر فيه فيقوم بمعنى يحضر و به بمعنى فيه ووقع التنازع بين يقوم ويسمع في الفاعل وهو الفيل فأيهما اعملته فيه اعطيت الآخر ضميره ووقع التنازع ايضا بين لو يقوم ولو يراه المقدر في ضمن مفعول رأى ولو يسمع الفيل في الجزاء الآتي في البيت بعده اعني قوله لظل يرعد فيجوز صرف الجزاء الى الاخير ويحكم بحذفه من الاولين ويجوز صرفه للاول ويحكم بحذفه من الاخيرين وجملة لو يقوم به مع جوابها صفة مقاما والرابط الضمير في به واشار بذلك الى هيبة مجلسه صلى الله عليه وسلم وانه في غاية الاحترام والجلال وقد وصف سيدنا علي كرم الله وجهه مجلسه صلى الله عليه وسلم فقال اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثه ولا شك ان ذلك من هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم واحترامه لديهم فلم يزل صلى الله عليه وسلم عظيم الهيبة عندهم رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم وتأنيسه لهم الا هيبة وقوله ارى مفعوله محذوف والتقدير ارى ما لو يراه الفيل وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اي لظل يرعد وليس بين ارى واسمع تنازع

لقد اقوم مقاما لو يقوم به * ارى واسمع ما لو يسمع الفيل

في المفعول وهو مالو يسمع الفيل اذ ليس المراد ارى مالو يسمعه الفيل بل المراد ارى
مالو يراه الفيل لظل يرعد واسمع مالو يسمعه الفيل لظل يرعد وجملة اسمع معطوفة
على جملة ارى بالعاطف المذكور وهو الواو ثم انه يحتمل ان جملة ارى واسمع
في محل الحال من فاعل اقوم اى لقد اقوم مقاما حال كوني ارى فيه مالو
يراه الفيل لظل يرعد واسمع فيه مالو يسمعه الفيل لظل يرعد ويحتمل انها معطوفة
على جملة اقوم بعاطف مقدر وجملة اسمع معطوفة عليها فكأنه قال لقد اقوم
مقاما وارى واسمع الخ والمعنى على المضي اى لقد قمت ورايت وسمعت واشار
بجملة ارى الى هيبة رؤيته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم
مهابا في نفسه محفوفا بالجلال والعظمة يهابه كل من رآه ويجله كل من لاقاه
فقد جاء في وصفه صلى الله عليه وسلم من رآه بداهة هابه ومن عاشره احبه وفي
صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه وما كنت اطيق املأ عيني
منه اجلالا له ولو قيل لي صفه لما استطعت لاني لم اكن املأ عيني منه وقوله
واسمع مالو يسمع الفيل اى واسمع الذى لو يسمعه الفيل اوشيأ لو يسمعه الفيل فما
اما موصولة بمعنى الذى والجملة التي بعدها صلة او موصوفة بمعنى شيأ والجملة التي
بعدها صفة وقد عرفت ان جواب الشرط قوله في البيت بعد لظل يرعد ففي
هذا البيت التضمين لتوقفه على البيت بعده في استقامة التركيب واشار بذلك
الى هيبة سماعه صلى الله عليه وسلم وكأنه يشير الى سماع القرآن فان له هيبة
تلحق السامعين له عند تلاوته لعظم خطره وقوة جلالته قال الله تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال عز وجل تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله (قوله لظل
يرعد الخ) هذا جواب لو على ما تقدم فهذا البيت مرتبط بالبيت قبله ولذلك تكلم
عليهما الشراح معا وظل بمعنى صار ومعنى يرعد بفتح الياء وضم العين تأخذه
الرعدة وهو بالبناء للفاعل ويصح بناؤه للمفعول يقال ارعد فلان اذا اخذته
الرعدة والمعنى لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع وانما خص الفيل بذلك
لانه اراد التعظيم والتهويل والفيل اعظم الدواب جثة وشأنا كما قاله التبريزى
وقوله الا ان يكون له من الرسول باذن الله تنويل اى الا ان يكون له من الرسول
باذن الله تأمين يسكن به روعه وتثبت به نفسه فالمراد من التنويل التأمين

لظل يرعد الا ان يكون له * من الرسول باذن الله تنويل

وان كان معناه في اصل اللغة اعطاء النوال الذي هو نعمة عظيمة ثم انه يحتمل ان يكون مضارع كان الناقصة فيكون تنويل اسمه مؤخرا وله خبره مقدما ولو انه مضارع كان التامة فيكون تنويل فاعله وله حال منه قد تقدم عليه وقوله من الرسول متعلق بيكون او بتنويل وكذلك قوله باذن الله وحاصل معنى البيتين اني قد حضرت مجلسا هائلا ورأيت فيه امرا عظيما وسمعت فيه كلاما عجيبا بحيث لو حضر فيه الفيل ورأى ما رايت وسمع ما سمعت لاصابته الرعدة الا ان تحفه العناية بتأمين الرسول له وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد (قوله حتى وضعت يميني الخ) أي فوضعت يميني الخ فحتى بمعنى الفاء وهي عاطفة على قوله لقد اقوم وما بعد حتى داخل في حكم ما قبلها فانه كان عند وضع يمينه في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوف منه في غير تلك الحالة وانما خص يمينه لان الاشياء الشريفة كالاخذ والاعطاء والاكل والمصافحة تفعل باليمين والاشياء الخسيسة كالاستنجاء ومس الذكر وما شاكل ذلك تفعل باليسار ولا شك ان مصافحة النبي صلى الله عليه وسلم من اعلى الامور الشريفة وارفعها رتبة وجملة لا انازعه حال من فاعل وضعت اي حال كوني غير منازع له وغير مخالف له في شيء اصلا بل طائعا له وراضيا بحكمه في ولا شك ان عدم منازعته صلى الله عليه وسلم والدخول تحت امره والانقياد لطاعته من الامور اللازمة والواجبات المتجهة حتى ان الله قرن طاعته بطاعته حيث قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وقال عز وجل قل اطيعوا الله والرسول وقال جل من قائل من يطع الرسول فقد اطاع الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعته وقوله في كف ذي نقمات اي في كف صاحب نقمات بفتح النون وكسر القاف وهي جمع نقمة بكسر النون وسكون القاف ككلمات جمع كلمة والمراد بصاحب النقمات النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان ينتقم من الكفار فكان شديد السطوة عليهم والاغلاظ لهم في القول امتثالا لقوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا لا ينافي انه رؤف رحيم بالمؤمنين كما قال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله قيله القيل اي قوله هو القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا فالقيل بمعنى القول فيهما والجملة صفة لذي نقمات المراد به النبي صلى الله عليه وسلم فلا

يقول

حتى وضعت يميني لا انازعه * في كف ذي نقمات قيله القيل

لذاك اهيب عندي اذ اكلمه * وقيل انك منسوب ومسؤول

يقول قولا من وعد اووعيد الا يقع ولا بد وحاصل معنى البيت انه وضع يمينه فى كف النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الانتقامات من الكافرين الذى قوله هو القول النافذ حال كونه غير منازع له ولا مخالف له فى شئ من الاشياء يشير بذلك الى حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو فى المسجد ووضع يده فى يده وقال يارسول الله ان كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل انت قابله ان انا جئتك به قال نعم فقال يارسول الله انا كعب على ما تقدم نقله (قوله لذاك اهيب الخ) اى والله لذاك اهيب الخ فاللام واقعة فى جواب قسم مقدر لان المقام يقتضيه ويحتمل انها للابتداء وفى نسخة فذاك بالفاء وعلى كل فاسم الاشارة عائد على ذى النقمات وهو النبي صلى الله عليه وسلم ويروى لكان بدل لذاك ومعنى اهيب اشد هيبة ويروى ارهب اى اشد رهبة اى خوفا وكل منهما افعل تفضيل مبنى من فعل المفعول على حد قولهم اشغل من ذات النحيين وبين المفضل عليه بقوله فى البيت الذى بعده من خادر وعندى ظرف لاهيب اوارهب على الروايتين وكذلك اذ على الصواب وجملة اكلمه فى محل جر باضافة اذ اليه اى وقت كلامى اياه ويروى اذ يكلمنى اى وقت كلامه اياى وقوله وقيل عطف على اكلمه اوحال من ضميره اى واذ قيل لى او حال كونه قد قيل لى قبل ذلك وقوله انك منسوب اى انك يا كعب منسوب الى امور صدرت منك كقولك سقاك بها المأمون ومنعك اخاك بجيرا من الاسلام وتعييرك له به وقوله ومسؤول اى عن سبها اوعن نسبك فقد سأله صلى الله عليه وسلم عما أوشى فى حقه للنبي صلى الله عليه وسلم لمطالبه بالخروج منه وتكلم معه فى نسبه ومن اى قبيلة هو فان قيل ما الحكمة فى سؤاله عن نسبه واى غرض يتعلق بذلك اجيب بأن ذلك من باب التوبيخ والتقريع له اذ كان اوى الى قبيلته التى هى مزينة لتجيره من النبي صلى الله عليه وسلم فأبت ذلك على ما تقدم ذكره وكانه يقول من قبيلتك التى تجيرك منى ومن قومك الذين يعصمونك منى فقد تبرؤا منك وتخلوا عنك وحاصل معنى البيت ان النبي صلى الله عليه وسلم اشد هيبة او اشد رهبة عند كعب رضى الله عنه وقت كلامه معه صلى الله عليه وسلم واخبر قبل ذلك بأنه منسوب له امور صدرت منه ومسؤول عن سببها وعن نسبه فلذلك اشتدت عليه هيبته فى خطابه وعظم وقع كلامه فى نفسه حتى وهنت قواه ودخله

خص ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة الرجال مبالغة فى الشدة والقوة وقوله معفور صفة لحم اى ملقى فى العفر بفتحتين وهو التراب وانما خص اللحم بكونه يلقى على التراب لان القاءه عليه دليل على عدم اكتراثه به وربما دل ذلك على الشبع وعيافة اللحم لكثرته كما فى قول امرء القيس يصف عقابا

كان قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

اى انها لكثرة اصطيادها تصير قلوب الطير ملقاة حول وكرها رطبا ويابسا لعيافتها عن اكلها وقوله خراديل صفة اخرى للحم اى قطع صغار جمع خردلة وهى القطعة من الشئ يقال خردلت اللحم اذا قطعته قطعا صغارا وانما خصه بكونه قطعا صغارا لشدة جراءته ويحتمل انه يفعل ذلك من باب الحنو على اولاده ليسهل عليهم اكله وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد يذهب فى اول النهار يتطلب صيدا لولديه فيطعمهما لحما وقوتهما لحم من لحوم القوم ملقى فى العفر وهو التراب قطع صغار وهذا كناية عن كونه اخوف واهيب من غيره لانه يستلزم كونه كثير الاصطياد عظيم الافتراس (قوله اذا يساور الخ) اذا شرطية ويساور فعل الشرط وجملة لايحل له الخ جواب الشرط والجملة الشرطية بتمامها صفة اخرى لخادر ويساور بضم الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة بعدها الف ثم واو مكسورة وراء مهملة فعل مضارع من المساورة وهى المثاوبة التى هى مفاعلة من الجانبين لان كلا يثب على الآخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء وبالنون فى آخره المقاوم فى الشجاعة او العلم او غيرهما وانما خص القرن اشارة الى ان هذا الاسد لا يساور ضعيفا ولا جبانا وانما يساور مقاومه فى الشجاعة ومساويه فى القوة وهذه طريقة الشجعان فى الحرب حتى ان احدهم اذا برز له من هو دونه فى الشجاعة لا يبرزله ولا يقابله وقوله لايحل له ان يترك القرن الا وهو مغلول اى لايتأتى له النكوص والهرب فيمنع نفسه من ذلك حتى كانه يحرم عليه ان يترك المقاوم له الا وهو مكسور مهزوم فالمغلول بفتح الميم وسكون الغين وضم اللام وبعد الواو الساكنة لام معناه المكسور المهزوم واصل الفل الكسر الحسى ومنه فل الحسام الذى هو السيف وهو ثلم حده قال الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ثم استعمل فى غيره اتساعا وتجوزا ويروى الا وهو مجدول اى الا وهو ملقى على الجدالة وهى الارض

اذا يساور قرنا لا يحل له * ان يترك القرن الا وهو مغلول

منه تظل سباع الجو ضامزة * ولا تمشي بواديه الاراجيل

ولا يزال بواديه اخو ثقة * مطرح البز والدرسان مأكول

فالمجدول بفتح الميم وسكون الجيم وضم الدال المهملة وبعد الواو الساكنة لام معناه
الملقى على الجدالة وهي الارض ولا يخفى ان في قوله ان يترك القرن اظهارا في مقام
الاضمار اذ مقتضى الظاهر ان يقول ان يتركه وحاصل معنى البيت ان هذا
الاسد اذا التقى مع مقاوم له في الشجاعة لا يتأتى له ان يترك هذا المقاوم له الا وهو
مكسور ومهزوم او ملقى على الجدالة على اختلاف الروايتين السابقتين واذا كان
بهذه الصفة كان جديرا بان يهاب لان هذه الحالة اتم حالات الشجعان وكان من
خصائصه صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز له ان يولي عن العدو ولو كان الوفا
ولذلك لم يعرف انه صلى الله عليه وسلم ادبر يوما في الحرب ولا ولى (قوله منه تظل
الخ) اي من اجل ذلك الخادر تصير سباع ما اتسع من الاودية والبر الواسع ساكنة
ممسكة فمن تعليلية والضمير عائد على الخادر ويقرأ منه بالاشباع وتظل بمعنى تصير
والسباع جمع سبع وهو في الاصل اسم لكل حيوان كاسر ثم غلب استعماله
في الاسد والجو ما اتسع من الاودية وقيل البر الواسع ويطلق على ما بين السماء
والارض والضامزة بضاد معجمة وبعد الالف ميم ثم زاي وفي آخره تاء التأنيث بمعنى
الساكتة الممسكة ففي القاموس ضمز يضمز ويضمز من بابي ضرب ونصر سكت
ولم يتكلم فهو ضامز وضمز البعير اذا امسك جرته في فيه ولم يجتر اه وبعضهم قال
ان الرواية ضامرة بالراء المهملة وفسرها بان سباع الوادي تظل جياعا لعدم
قدرتها على الاصطياد خوفا منه فتصير ضامرة وقوله ولا تمشي بواديه الاراجيل
اي ولا تمشي في وادي ذلك الخادر الرجال خوفا منه فتمشي بضم المثناة الفوقية وفتح
الميم وتشديد الشين المعجمة بمعنى تمشي والباء بمعنى في والضمير في واديه عائد على
الخادر والاراجيل جمع ارجال كاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ
جمع فرخ ورجل اسم جمع لراجل وهو ضد الفارس كالصحب اسم جمع لصاحب
وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد من اجل هيبته وشجاعته تصير سباع ما اتسع
من الوادي او البر الواسع ساكنة ممسكة ولا تمشي في واديه الرجال فخاف منه جنسه
من السباع وغير جنسه من الرجال وهذا اعلى ما يكون من الهيبة والشجاعة
(قوله ولا يزال بواديه الخ) بواديه بالاشباع خبر لا يزال مقدم واخوانه اسمها
مؤخر فهذا البيت في توسط الخبر كقول الشاعر * الا يا اسلمي يا دارمي على البلا
ولا زال منهلا بجرعائك القطر والضمير في واديه عائد على الخادر السابق وقوله اخو

خديجة بنت خويلد زوج النبى صلى الله عليه وسلم باتفاق ثم اسلم بعدها على بن أبى طالب ثم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد اشتراه واعتقه ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم اسلم جماعة كثيرون وقوله زولوا فعل أمر من زال التامة اى تحولوا وانتقلوا من مكة الى المدينة فهوا مرلهم بالهجرة وحين انشد كعب هذا البيت نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى اصحابه الكرام كالمعجب لهم من حسن مقوله وجودة شعره وكماله فى حاله وقال لهم اسمعوا أخرجه الحاكم والبيهقى وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم كائن اومبعوث فى جماعة من قريش وصفة تلك الجماعة انه قال القائل منهم حين اسلموا تحولوا من مكة الى المدينة فاختاروا الهجرة من اوطانهم لدينهم وزوا بدينهم (قوله زالوا الخ) اى ذهبوا وهاجروا من مكة الى المدينة وهذه هى الهجرة الثانية فان الصحابة رضى الله عنهم هاجروا هجرتين الاولى الى ارض الحبشة وذلك انه لما اشتد آذى كفار قريش لمن اسلم بمكة اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ليس له عشيرة تحميه بالهجرة الى ارض الحبشة فهاجر منهم جماعة واقاموا فى جوار النجاشى فأحسن نزلهم وعاملهم بالكرامة وارسلت قريش له فى طلبهم وهادوه على ذلك فلم يرض الثانية الى المدينة الشريفة وكان ابتداؤها ان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو قبائل العرب فى موسم الحج الى الله تعالى ويقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم ان تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيأ وان تتركوا ما تعبدون من دونه وان تؤمنوا بى وتصدقونى فلم يجبه احد فاتفق انه خرج فى الموسم مرة فلقى ستة رجال من اهل المدينة وكانوا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام وتلى عليهم القرآن فآمنوا به ثم انصرفوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام فأسلم منهم خلق كثير وفشى فيهم الاسلام ثم لقى النبى صلى الله عليه وسلم فى العام الآخر اثنى عشر رجلا من الانصار فبايعهم على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وبعث معهم مصعب بن عمير فلما قدم المدينة دعى من بها الى الاسلام فكان ممن اسلم على يديه سعد بن معاذ وحمل قومه على الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم فآمنوا به على آخرهم وفشى الاسلام بالمدينة حتى لم يبق فيها دار من دور الانصار الا دخلها الاسلام ثم عاد مصعب الى مكة فى ثلاثة وسبعين رجلا ممن اسلم من الانصار بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج

زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فاجتمعوا

فاجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا يارسول الله مالنا ان قتلنا دونك قال الجنة قالوا فابسط يدك لنبايعك فبايعوه على ذلك وانصرفوا راجعين الى المدينة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا متتابعين واقام هو صلى الله عليه وسلم بمكة حتى يأذن له ربه فلما اذن له خرج من مكة ليلا ومعه ابو بكر الصديق واقاما بغار ثور ثلاثة ايام ثم خرجا منه وتوجها الى المدينة واقام على بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان ادّى ودائع للناس كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فما زال انكاس اى فما تحول وانتقل ضعاف فالانكاس بفتح الهمزة معناه الضعاف جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف وقوله ولا كشف بضم الكاف والشين المعجمة جمع اكشف وهو الذى لاترس معه فى الحرب وكان مقتضى القياس تسكين الشين كاحمر وحمر فلعل ضمها سماعى اولضرورة النظم وقوله عند اللقاء اى عند ملاقاة الاعداء وقوله ولا ميل بكسر الميم جمع اميل وهو الذى لاسيف معه اوالذى لايحسن الركوب ولا يستقر على السرج قال جرير يهجو قوما

لم يركبوا الخيل الا بعدما هرموا * فهم ثقال على اكفالها ميل

وقوله معازيل اى ولا معازيل فالمعنى على العطف والمعازيل بفتح الميم والعين المهملة وبعد الالف زاى مكسورة ثم ياء ساكنة ولام فى آخره جمع معزال بكسر الميم وهو الذى لاسلاح معه والمشهور فيه اعزل ومنه سمى النجم المشهور الاعزل لمقابلته النجم الآخر المسمى بالرامح لكونه فى هيئة رجل بيده رمح ويقال لهذين النجمين السماكان وما أحسن قول المعرى فى ذلك

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ معزل

سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا اعزل

اى لارمح له معه ثم ان قوله فما زال انكاس الخ كناية عن قوة شجاعتهم لانه يدل على انهم زالوا عن مكانهم وانتقلوا عن اوطانهم ومع ذلك لم يزل عن لقاء الاعداء ومحاربتهم ضعفاؤهم ومن ليس معه ترس ولا سيف ولا سلاح فكيف بأقويائهم واصحاب الترس والسيف والسلاح وقيل المعنى هاجروا من مكة الى المدينة وليس فيهم من هذه صفته بل المهاجرون كلهم اقوياء ذووا أسلحة كما سمعوا صيحة طاروا اليها وقاموا عليها وثبتوا لديها وهذا هو الذى اقتصر عليه

متن: من المراد أن الذين ابطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

السيوطى (قوله شم العرانين الخ) اى هم شم العرانين الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والشم بضم الشين المعجمة جمع اشم وهو الذى فى قصبة انفه علو مع استواء اعلاه مأخوذ من الشمم واصله الارتفاع مطلقا والعرانين بفتح العين جمع عرنين بكسرها وهو الانف ثم ان قوله شم العرانين يحتمل لمعنيين احدهما انه اراد ان يكون فى قصبة انوفهم ارتفاع حقيقة وهو من الاوصاف الحميدة التى فى تكوين خلق الانسان وقد جاء فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اشم العرنين ثانيهما ان يكون استعار ذلك لرفعة القدر والعلو لانه يقال للرجل المرتفع القدر فى انفه شمم وقوله ابطال صفة او خبر ثان والابطال جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع سمى بذلك لانه تبطل عنده دماء خصمه وتذهب هدرا فلا يؤخذ منه بالثار لشجاعته اولانه تبطل فيه الحيل فلا يتوصل اليه فوصفهم بكونهم شجعانا ولاشك ان الشجاعة من احمد الاوصاف التى يتمدح بها ويقع الافتخار بسببها وقوله لبوسهم باشباع الميم مبتدا خبره قوله سرابيل ومن نسج داود صفة لقوله لبوسهم وفى الهيجاء متعلق بمحذوف حال من المضاف اليه وهو الضمير فى لبوسهم اى حال كونهم فى الهيجاء ويحتمل ان قوله من نسج داود خبر اول وسرابيل خبر ثان واللبوس بفتح اللام مايلبس من السلاح والمراد بنسج داود عليه الصلاة والسلام منسوجه وهو الدروع والهيجاء بالقصر هنا ويجوز فيها المد ايضا لكن فى غير النظم وهى الحرب والسرابيل جمع سربال وهو الدرع او القميص كما فى المصباح ومراده بذلك وصفهم بأن لبوسهم فى الحرب من اصنع الدروع وامنعها لانه جعلها من نسج داود نبى الله عليه الصلاة والسلام ولاشك ان دروعه احكم الدروع صنعة لان تعليمه لتلك الصنعة من الله تعالى كما قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون ولان الله تعالى الان له الحديد كما قال تعالى والناله الحديد ان اعمل سابغات الآية وحاصل معنى البيت ان فى انوفهم ارتفاعا وانهم ذوو رفعة وعلو مقدار وفى الحرب فى غاية من الشجاعة ومنعة من السلاح وفيه اشارة الى امتثال قوله تعالى واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية فان قيل كيف مدحهم بلبس الدروع مع ان القتال دونها اعلى فى رتبة الشجاعة اجيب بأن تمام الحزم الاحتراز ولذلك امر الله تعالى بأخذ الحذر والاسلحة فى قوله تعالى خذوا حذركم واسلحتكم

وقد انكر عبد الملك بن مروان على الشاعر حين امتدحه بقوله

على ابن ابى العاص دلاص حصينة * اجاد المسدى سردها فاذالها

يود ضعيف القوم حمل قتانه * ويستضلع القرم الاشم احتمالها

ولم يمدحه بمثل قول الاعشى فى قيس بن معدى كرب

واذا اتى بكتيبة مملوءة * شهباء يخشى الرائدون نهالها

كنت المكرم غير لابس جنة * بالسيف تضرب معلما ابطالها

واجاب الشاعر عبد الملك بقوله يا امير المؤمنين قد وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالجنون وبالجملة فالمدح بلبس الدروع واخذ السلاح اتم ولذلك ذهب اليه كعب رضى الله عنه فى مدح المهاجرين رضى الله عنهم (قوله بيض سوابغ الخ) البيض جمع ابيض وهى صفة اولى لسرابيل والمراد منها المجلوة الصافية المصقولة لكونهم يدعون الحرب لان الحديد مهما استعمل انجلى وصفى وانصقل ولم يركبه الصدا والسوابغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة جمع سابغ وهى صفة ثانية لسرابيل والمراد منها الطوال السوابل ويلزم من ذلك انهم فى غاية القوة لان الدروع اذا كانت طويلة سابلة كانت اثقل من غيرها وحملها فى الحرب مع ثقلها يدل على الشدة والقوة وقوله قد شكت بالبناء لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل ضمير يعود على الدروع وهذه جملة فعلية وقوله لها حلق جملة اسمية فهما جملتان على هذا ويحتمل ان نائب الفاعل هو حلق ويكون الكلام جملة واحدة واللام فى لها على هذا بمعنى من اى شكت منها حلق ثم انه يروى شكت بالشين المعجمة بمعنى ادخل بعضها فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة فالشك بالشين المعجمة فى الاصل ادخال الشئ فى الشئ ويروى سكت بالسين المهملة بمعنى ضيقت فتلك الدروع قد ضيق بين حلقها فالسك بالسين المهملة الضيق ومنه اذن سكاء اى ضيقة والحلق بفتحتين على الصحيح وضبطه الاصمعى بكسر الحاء ومفردها حلقة باسكان اللام على الصحيح ايضا وضبطه ابو عمرو بالفتح وقال ابو عمرو الشيبانى ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق وقوله كأنها حلق القفعاء اى كأن تلك الحلق التى هى حلق دروعهم حلق القفعاء بفتح القاف وسكون الفاء وفتح العين المهملة بعدها الف ممدودة وهى شجر ينبسط على وجه الارض له حلق يشبه به حلق الدروع وجملة كأنها الخ صفة لحلق وقوله مجدول صفة اخرى لحلق اى مجدول

بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كأنها حلق القفعاء مجدول

لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل

كل واحدة منها فلا يرد ان الموصوف وهو حلق جمع والصفة وهي مجدولة
مفردة وفيه الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
ومعنى مجدولة محكمة الصنعة ففيه اشارة الى ان لهم اعتناء بآلة الحرب حيث لم
يتخذوا منها الا محكم الصنعة عزيز الوجود وحاصل معنى البيت ان دروعهم
صافية مجلوة مصقولة طويلة تامة تداخل بعضها في بعض محكمة الصنعة
(قوله لا يفرحون اذا نالت الخ) أي لا يحصل فرح ولا سرور لهم اذا اصابت
رماحهم الاعداء وغلبوهم بأن ذلك من عادتهم بكونهم يكثرون الظفر بالاعداء
والفرح انما يكون بالشيء النادر القليل الوقوع فنالت بمعنى اصابت ورماحهم
باشباع الميم والرماح معروفة وتقدم ان القوم هم الجماعة من الرجال وقوله وليسوا
مجازيعا اذا نيلوا أي وليسوا كثيرين الجزع والخوف اذا اصيبوا وغلبوا لجلادهم
وصبرهم على الحرب فاذا غلبهم العدو فلا يجزعون ولا يمنعهم ذلك من ملاقاته
مرة ثانية خوفا فمجازيعا بفتح الميم وبالجيم وبزاي معجمة وبالياء الساكنة وعين
مهملة جمع مجزاع وهو كثير الجزع والخوف وهو هنا مصروف للضرورة ومعنى
نيلوا اصيبوا وحاصل معنى البيت انهم اذا غلبوا عدوهم لا يفرحون بذلك لكونه
من عادتهم التي تقع لهم كثيرا واذا غلبهم العدو لا يجزعون من لقائه ثانيا (قوله
يمشون مشي الجمال الخ) أي يمشون مشيا مثل مشي الجمال الخ فمشي نائب عن صفة
مصدر محذوف وهو مبين للنوع وغرضه بذلك وصفهم بامتداد القامة وعظم
الخلق والرفق في المشي وبياض البشرة وذلك دليل على الوقار والسودد فهم
سادات لا عبيد وعرب لا اعراب وقوله الزهر صفة للجمال وهو بضم الزاي جمع
ازهر وهو الابيض وقوله يعصمهم ضرب أي يمنعهم ويحميهم من الاعداء ضربهم
اياهم بالسيوف والرماح لا التحصن بالحصون والقلاع وقوله اذا عرد أي وقت
ان فروا عرض فاذا بمعنى وقت وقد تنازع فيه يمشون ويعصمهم وعرد بفتح
العين المهملة وتشديد الراء وفي آخره دال مهملة ومعناه فر واعرض وهذا هو
المناسب هنا واما رواية غرد بالغين المعجمة بمعنى اطرب بالرجز والشعر فلا معنى لها
هنا كما قاله ابن هشام في شرحه وقوله السود جمع اسود وقوله التنابيل بفتح
المثناة الفوقية ثم نون ثم الف بعدها باء موحدة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة

ولام

لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

ولام فى آخره جمع تنبال كتمساح وهو القصير وحاصل معنى البيت انهم يمشون الى الحرب كمشى الجمال البيض ويمنعهم من الاعداء ضربهم لهم وقت فرار القوم ومن لازم ذلك كمال شجاعتهم وغاية رسوخهم فى امر المحاربة (قوله لا يقع هنا الطعن الخ) اى لا يقع طعن القوم لهم فى ظهورهم بل فى نحورهم اذ لا ينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم بل يقدمون على اعدائهم فلا يقع الطعن الا فى صدورهم يعنى نحورهم باشباع الميم صدورهم وقوله وما لهم عن حياض الموت تهليل ويروى فما لهم بالفاء اى ليس لهم من الامكنة التى فيها مجتمع الموت كحيضان الماء التى فيها مجتمعة تهليل اى تأخر فالحياض بالضاد المعجمة جمع حوض بمعنى الامكنة التى فيها مجتمع الموت كحيضان الماء ويروى حياص الموت بالصاد المهملة جمع حوص بمعنى مضائقه وشدائده وجملة وما لهم الخ اما معطوفة على الجملة الفعلية اوحالية من الضمير فى نحورهم او معترضة للمدح وقد روى انه لما انشد كعب هذا البيت نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من كان بحضرته من قريش كانه يومى اليهم ان اسمعوا ويؤخذ من هذا ومن نظيره فيما تقدم استحباب سماع هذه القصيدة لما اشتملت عليه من نعوت الحضرة النبوية واوصاف اصحابه المرضية وغيرها من الفضائل البهية والشمائل السنية ومعرفة القواعد العربية والفوائد الادبية ويوجد فى نسخ المتن بيتان ليسا من كلام الناظم وهما

اقبله يا خير حاف بل ومنتعل * فالهم مجتمع والقلب مشغول

تكون للآل والاصحاب قد جمعت * فكلهم لى محبوب وموصول

ولم يكتب عليهما ما بأيدينا من الشراح لكونهما ليسا من كلام من فاز بالفلاح وقد ختم كلامه فى المبنى بما يناسب ابتداءه فى المعنى فانه قد ابتدا بذكر الفراق وختمه بذكر الموت ولا ارتياب فى انه ليس بين الموت والفراق فرق عند ارباب الاشتياق فبلغت القصيدة من الحسن اقصى غايته وانتهت الى منتهى نهايته فنسأل الله تعالى ان يتفضل علينا بالجزاء الاوفى وان يبلغنا المقام الاسنى ويلحقنا بالرفيق الاعلى من الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

(طبعت بالمطبعة الكاستلية بمصر المحميه سنة ١٢٥٦)